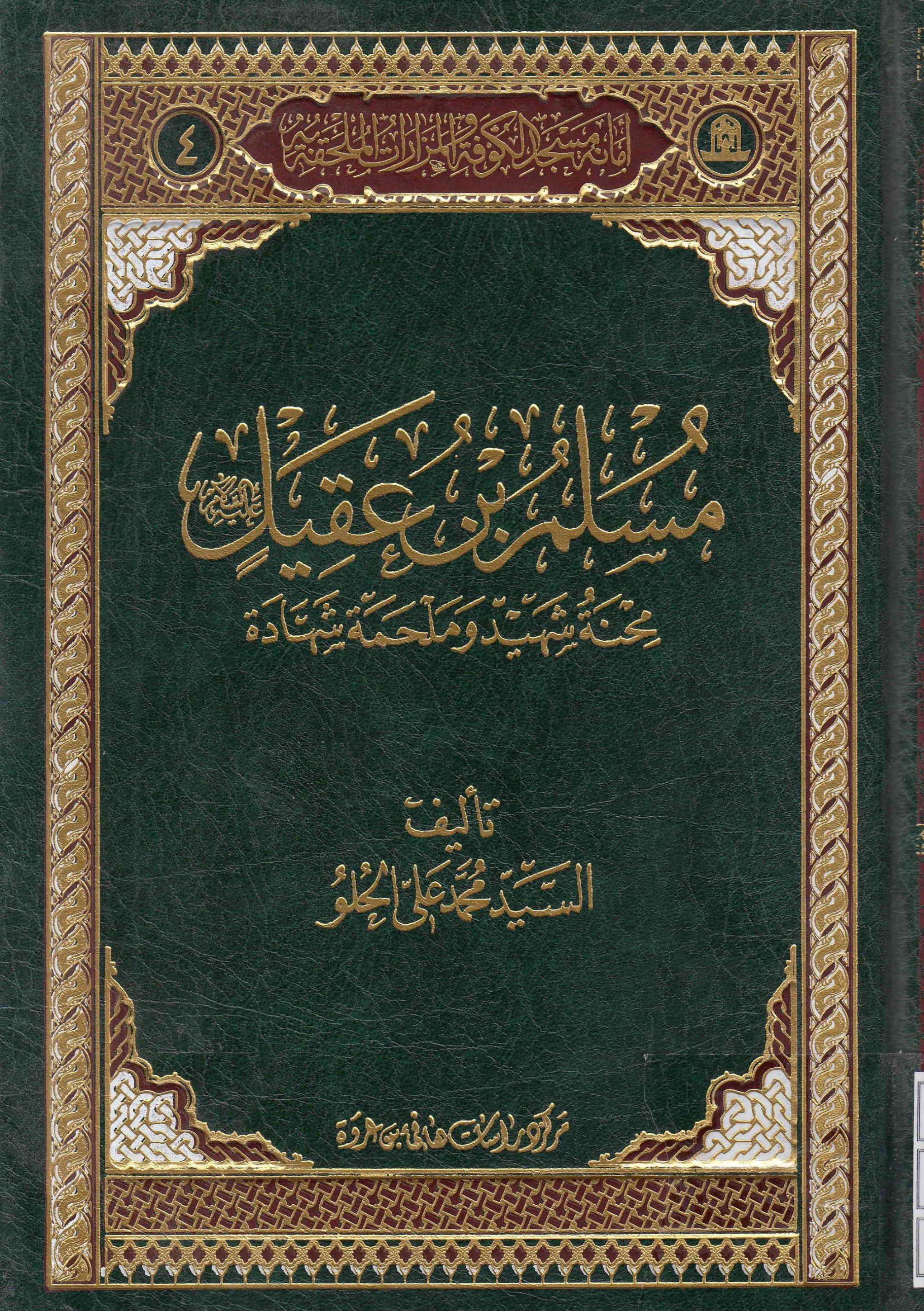
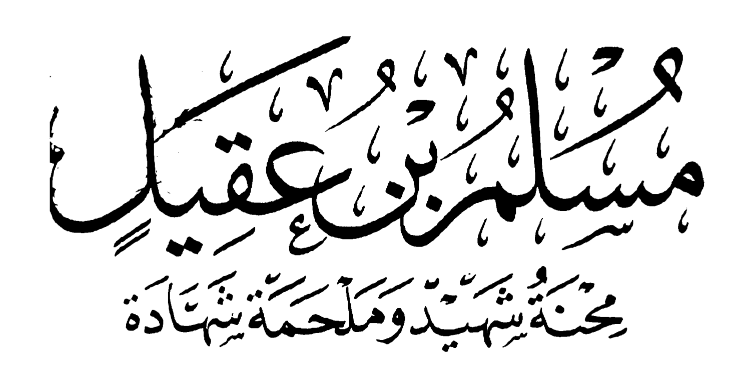

أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة
٤
مسلم بن عقيل عليه السلام
محنة شهيد وملحمة شهادة
تأليف
السيد محمد علي الحلو
مركز دراسات هاني بن عروة


مسلم بن عقيل عليه السلام
محنة شهيد وملحمة شهادة



تأليف

السيد محمد علي الحلو

اسم الكتاب: مسلم بن عقيل (عليه السلام) محنةُ شهيد وملحمة شهادة.
تأليف: السيد محمد علي الحلو.
تنضيد: كرار الشحماني.
الإخراج الفني: نجاح الدجيلي.
الطبعة: الثانية.
الكمية: ٢٠٠٠ نسخة.
الناشر: أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به.
سنة الطبع: ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.



www. masjed-alkufa.net

تنفيذ طباعي
دار المتقين
للثقافة والعلوم والطباعة والنشر
بيروت لبنان ــ طريق المطار
مفرق مطعم الساحة
بناية شاهين ط ١
٠٠٩٦١٣٩٥٣٦٢٢
Email: walialah@yahow,com



الإهـداء

إنها...

قصة سفير

ويوميات رحلة شهيد..

ترويها ملحمةُ بطلٍ سُلّت عليه سيوف غدرٍ...

وأرهقت تاريخه أقلامُ غادرين..

فإليك أيها الشاهد الشهيد محنتك الكبرى نرويها

بكل دواعيها صابرة محتسبة كما أنت... تحدوك قوافل الخلود...

وترويك ملاحم الصبر..

فإليك أيها الصابر الممتحن.. مسلم بن عقيل، زفرات المتفجع..
ورجاء المستشفع..

محمـــد علي

كلمة الأمانة:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الخاتم المبعوث رحمة للعالمين وعلى أهل بيته الهداة المعصومين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

مما نأسف له أن نرى حياة أهل بيت العصمة وأبنائهم وأصحابهم وخواصهم سطرت بأيدٍ رخيصة باعت ضمائرها بثمن بخس دراهم معدودات فقلبت الحقيقة وكتبت املاءات الطغاة وسطرت أهواءَهم ونسبتها لرجال غيرهم ولولا مواقفهم الإيمانية الصلبة وشجاعتهم واستبسالهم من اجل العقيدة لما مَثُلَ الدّين شخصا فقاما. فمسلم بن عقيل عليه السلام البطل الهاشمي الذي يقول عنه الإمام الحسين عليه السلام (أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي) والذي وقف ذلك الموقف الشجاع في الكوفة وهي من أهم الحواضر الإسلامية آنذاك مع ثلة قليلة من المؤمنين الخلص ليدافع عن مبادئه وقيم الإسلام والرسالة التي يحملها من إمام زمانه الإمام الحسين عليه السلام بوجه هؤلاء الطغاة نرى وعاظ السلاطين مرة يغفلون عن ذكره ومرة يرمونه بما يحلو لهم ولأسيادهم ولا غرابة من ذلك فهو البطل الثائر على نظام الدولة الأموية وهي في عنفوانها وشموخها فلا عجب ان نرى النزر القليل عن حياته في كتب التاريخ أو نرى الاضطراب واضحاً في معظم الروايات التي تمر بسفارته وتطورات الأحداث التي مرت بمسلم بن عقيل عليه السلام وهنا يأتي دور

الأقلام المؤمنة ورجال الفكر ليشمروا عن سواعدهم ويقفوا عند ذلك البحر الزاخر فيستخرجوا لنا لئالئه صافية نقية كنقاء سرائرهم ويقدموها للباحثين عن الحقيقة ومن هؤلاء سماحة السيد محمد علي الحلو دامت بركاته فألف كتابه الذي نحن بصدده (مسلم بن عقيل محنة شهيد وملحمة شهادة) ليدرس بعقله النير تاريخ الشهيد مسلم بن عقيل ويقف عند كثير من منعطفاته فيحاكمها بفكره الثاقب ليخلص إلى نتائج قيمه أزاحت بعض الغبار عن الحقيقة

وبحمد الله سبحانه وتعالى وفقت أمانة مسجد الكوفة قسم الشؤون الثقافية وضمن سلسلة إصداراتها لطبع ونشر الكتاب خدمة لشهيد الدعوة الحسينية الأول وسنتواصل بإذن الله معكم في استقصاء العناوين التي تهم المكان لنضعها بين يدي القارئ الكريم وفي الختام لا يسع أمانة المسجد إلا أن تتقدم بوافر التقدير والاحترام لسماحة السيد محمد علي الحلو على ما بذله من جهد في خدمة سفير الحسين سائلين المولى ان يجعله في ميزان أعماله وان يوفقه لمزيد من العطاء في خدمة الدين الحنيف كما لا يسعني إلا ان اذكر بتقدير واحترام الهيئة العلمية في أمانة المسجد والمؤلفة من الدكتور كامل سلمان الجبوري والدكتور صالح القريشي وسماحة السيد معين الحيدري على ما بذلوه من جهد لمراجعة الكتاب وإبداء ملاحظاتهم القيمة دعما لهذا المجهود الكبير والتقدير موصولا لكل من ساهم في إخراج الكتاب بهذه الصورة البهية سائلين الباري عز وجل أن يتقبل من الجميع انه السميع المجيب وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

السيد موسى تقي الخلخالي

أمين المسجد

المقدمة:

الوسطية التأريخية المحاصَرة:

هذا هو اللغز الكوفي يطلُ علينا من بين الأحداث المترامية في الكوفة العتيدة بولائها لآل علي عليه السلام، والمتقلبة المواقف بسبب الأحداث القاصمة لقراراتها العاصفة بأنظمة الحكم المتسلط على أحداثها المقهورة، وهي بقدر ما تحمل من مواقف الولاء، تستجلي نكصات الخذلان، لأكثر ملاحمها المغلوبة.

إذن هي تركةٌ تاريخية ثقيلة، يتحملها المحقق ليصل الى دواعي الحقيقة التي حجبها تاريخٌ موهون بل قل ((مهزوم)) يجلدُ الحقائق بسوط النص التاريخي، ويقمع أنفاس التحري، ويقهرُ إرادة البحث، ويغلبُ إقدام الباحث.. وهكذا تبقى الكوفة متعلقة بركاب المؤرخين ينصفونها متى ما أنصفتهم ظروفهم وألجمت أفواههم ظروف القناعةِ النابعةِ من دواعٍ مبتلاةٍ بهوس الحكم، وهزيمة المحكوم،فالكوفة إذن؛ حبيسة موروثٍ ساهم فيه السياسي وأرهقه المؤرخ، وأضناهُ العامة، وهو بعد ذلك يؤخذ بين مدِ العواطف وجزرِ الأنصاف، وبين هذا المدِ والجزرِ تبرزُ ملامح أمة أرهقتها سنون عجاف تأكل منسأة أنصافها دواعي الحاكم، وتنخرُ في جسمها عاديات الزمن فتقتلع ثقة الأجيال من حاضنة الولاء العلوي، وتستنفر كل ذكريات المحكوم المضرّجةِ بدماء المعارضة للسلطة فتقرأُ الكوفة كما أرادها أهل السياسة وأختطها أهل السلطان بؤرة الخذلان وقاهرة إرادة الحاكم بكل مواصفاته وامتيازاته.

وكلما أوغلتَ في اللغز الكوفي لا تجدُ إلا طريدة المؤرخين تنتابها

مرويات الأحداث المتقاعِسة عن نصرة الحق، وبين تحليلات الممالأة لكوفة الكوفيين بعد أن صارت - أي الكوفة - سبة المتشدقين بمتاهات النصرة أو الخذلان.

أي أن فريقاً ينحى بكل حقده نحو اليمين المتطرف ليكيل للكوفةِ كل "سباب" الهزيمة "وشتائم" الغدر، وبين منحى اليسار المتطرف ليبرّئ الكوفة عن وصمة عار التخاذل وينزهها عن كل خيانة ويغفر لها خطايا الخذلان، وبهذا فقد ضاعت كل "وسيطةٍ تاريخيةٍ" يبحثُ من خلالها عن أسباب هذا الخذلان، أو دواعي ذلك النكوص، أو مقتضيات تلك الخيانة، لئلا تنتفخ أوداج النافخين بأبواق السباب وكَيلِ التُهم خصوصاً من تلك السلفية الهوجاء والوهابية المتشرذمة التي تحاول تبرئة يزيد لتُلقي باللائمة على شيعة كوفةِ أهل البيت عليهم السلام في قتل الحسين وسفك دماء آلهِ الطاهرين.

والدراسة التي بين أيدينا هي محاولاتٌ لفك بعض رموز اللغز الكوفي المتحيّر مرة، والمُحيّر أخرى، نستجلي من خلالها أكثر دواعي الخذلان الكوفي، ودوافع النكوص الذي خلّفته سياسة البطش الأموي، وأكملته بعد ذلك سياسة تنكيل المؤرخين.

المؤلــف

أجواء ملتهبة:

كان الوقت قائضاً فحزيران بداية صيفٍ رمضاني يطلعُ على المدينة المنورة بلهيبها القائض، وصوم يومٍ من هذا القيض الملتهب يأخذ بالمدينة الملتهبة من حرارة جوها إلى جُهدٍ جهيدٍ من العناء، فالمدنيون الآن يعيشون لظى رمضان، كما انهم يعيشون لظى الأحداث المترامية الأخبار بين هلاك معاوية وأخذ الناس بالبيعة ليزيد، وتهديدات الوليد بن عتبة تصك أسماع الناس، حيث طلب البيعة من الحسين ليزيد وقد امتنع الحسين من البيعة بقوله للوليد:

((أيها الأمير، إنّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة ومهبط الرحمة. بنا فتحٍ الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب خمر، قاتل النفس،معلنٌ بالفسق، فمثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون أينا أحق بالخلافة والبيعة)) فأغلظ الوليد في كلامه وارتفعت الأصوات، فهجم تسعة عشر رجلاً قد انتضوا خناجرهم، وأخرجوا الحسين عليه السلام إلى منزله قهراً[1].

وفي روايةٍ:

وكان الوليد أغلظ للحسين عليه السلام فشتمه الحسين عليه السلام وأخذ بعمامته فنزعها من رأسه، ((فقال الوليد: إن هجنا بأبي عبد الله إلا أسداً)) فقال له مروان: أقتله.

---

١ - السيد عبد الرزاق المقرم: مقتل الحسين (ع): ١٤٤.

قال الوليد: إن ذلك لدم مضنون في بني عبد مناف[1].

وفي رواية أخرى بعد أن رفض الإمام عليه السلام المبايعة ليزيد قال مروان: أيها الأمير إنْ فارقك الساعة ولم يبايع فإنك لن تقدر منه على مثلها أبداً، حتى تكثر القتلى بينك وبينه، فاحبسه عندك، ولا تدعه يخرج أو يبايع وإلا فاضرب عنقه، فالتفت إليه الحسين عليه السلام وقال: **ويلي عليك يا بن الزرقاء أتأمر بضرب عنقي، كذبت واللهِ ولؤمت والله لو رام ذلك أحد لسقيت الأرض من دمه قبل ذلك، فإن شئت ذلك فرُم أن تضرب عنقي ان كنت صادقاً**[2].

وفي رواية أبي مخنف: **يا ابن الزرقاء أنت تأمر بقتلي، كذبت يا بن اللخنا وبيتِ الله، لقد أهجت عليك وعلى صحابك مني حرباً طويلاً.**

هذهِ هي أحداث المدينة المائجة بتداعيات أخذ البيعة، ولم تزل هذهِ الحادثة ـ هلاك معاوية ـ تزيدُ من الكوفة الرافضة لخلافته تطلعاً جديداً للتغيير، وتوجهاً مثيراً للرغبة في إعطاء البيعة لمن هو أحق بها (الحسين بن علي) ذلك الإمام الذي عرفته الكوفة وريث (عليّ) أبيهِ في العدالة كما هو في اللياقة لقيادةِ أمة.

لم تقف رغبة الكوفيين عند الأمنيات التي غدت تنمو إلى عملٍ جديرٍ أن يلفت الانتباه، وهو جديرٌ كذلك أن يستمع إلى دعوتهم الحسين بن علي الذي وجد من الكوفيين إصرارا على الثورة، وتلهفاً للإصلاح والبيعة لمن هو أولى بها من أولئك الأمويين الذين جعلوا

---

١ - ابن عساكر: تاريخ الجزء الخاص بالحسين (ع)، ص٢٠٠.

٢ - المقرم: مقتل الحسين: ١٤٣.

((مال الله دولاً وعباده خولاً)) ولم يأنِ لأهل الكوفة أن يصطبروا على ما هم عليه من الذلِ والهوان والصِغار الذي أذاق وباله بنو أمية الذين لا يزالون يعدونهم من أهل المعارضةِ، وهم كما يكونون من معارضة النظام من قبلُ ومن بعد، أي في عهد علي فهم أنصاره الأشداء، وما بعدُ فهم أصحابه الأوفياء إلا من شذ منهم في مخالفة هذا النهج والحياد عن هذا الأمر، ولم يكن بنو أمية يخفون قلقهم ويكتمون خشيتهم مما هم فيه أهل الكوفة من النصرة لآل علي، فكايدوهم بأمراءٍ غلاظ شداد يأخذون محسنهم بالتهمةِ، ومسيئهم بأنكل الأحوال، وهكذا استمرت كراهة الكوفيين لبني أمية، وشوقهم لآل علي، وكان الحسين البقية الباقية من آل بيت أولئك الذين أوصى بهم رسول الله بالطاعة والإتباع، ولم يجد أهل الكوفة بداً من مراسلة الحسين بن علي ليكون لهم إمام كما كان لهم أبوه من قبل، يتولى أمرهم للإصلاح ويجمع كلمتهم على التقوى/ ويأخذ بأيديهم إلى ما فيه الرضا والقبول لله والطاعة للرسول ﷺ.

كتب الكوفيين:

وتتابعت على الحسين الكتب ((حتى ورد في يوم واحد ستمائة كتاب واجتمع عنده من نوب متفرقة اثنا عشر ألف كتاب))[1] وكانت كلها تشدد على أهمية حضور الحسين عندهم وبيعتهم له، ولم يكن من الحسين بدٌ من الاستجابة إلى مطالبة هذه الجموع العتيدة وهي تلهجُ بذكر

---

١ - ن.م: ١٦٣.

الحسين وتقصد نصرته بعد بيعته إذا ما حل في ربوعها المتوهجة بلظى الثورة وشوق اللقاء، حتى أن بعضاً من هذه الكتب تبين لنا حال الكوفيين وهم يغلون بطموحهم الذي لم يمهلهم حتى كتبوا للحسين:

بسم الله الرحمن الرحيم

للحسين بن علي أمير المؤمنين.

من سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة وحبيب بن مظاهر ورفاعة بن شداد وعبد الله بن وال وجماعة من المؤمنين..

السلام عليك..

أما بعد فالحمد لله الذي قصم عدوك وعدو أبيك من قبل الجبار العنيد الغشوم الظلوم، الذي ابتز هذه الأمة أمرها، وغصبها فيئها وتأمر عليها بغير رضى منها.

ثم قتل خيارها واستبقى أشرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وعتاتها، فبُعداً له كما بَعدت ثمود.

ثم أنه قد بلغنا أن ولده اللعين قد تأمر على هذه الأمة بلا مشورة ولا إجماع ولا علم من الخيار.

وبعدُ فإنا مقاتلون معك وباذلون أنفسنا من دونك، فأقبل إلينا فرحاً مسروراً، مباركاً منصوراً، سعيداً سديداً، إماماً مطاعاً، وخليفة مهدياً، فانه ليس علينا إمام ولا أمير إلا النعمان بن بشير الأنصاري، وهو في قصر الأمارة وحيد طريد، ولا نجتمع معه في جمعة ولا نخرج معه إلى عيد، ولا نؤدي إليه الخراج. يدعو فلا يجاب، ويأمر فلا يُطاع، ولو بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه عنا حتى يلحق بالشام، فأقدم علينا فلعل

الله تعالى أن يجمعنا بك على الحق، والسلام عليك يا بن رسول الله وعلى أبيك وأخيك ورحمة الله وبركاته [1].

ولم يكد أن يستقر الإمام بمكة حتى ورده هذا الكتاب:

إنا حبسنا أنفسنا عليك، ولسنا نحضر الصلاة مع الولاة فأقدم علينا فنحن في مائة ألف.

فقد فشا فينا الجور، وعُمل فينا بغير كتاب الله وسنة نبيه، ونرجو أن يجمعنا الله بك على الحق، وينفي عنا بك الظلم، فأنت أحق بهذا الأمر من يزيد وأبيه، الذي غصب الأمة فيها، وشرب الخمور، ولعب بالقرود والطنابير، وتلاعب بالدين [2].

وأقبل هانئ بن هانئ السبيعي وهو من وجهاء الكوفة على الحسين عليه السلام يحمل كتاباً من الكوفيين هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

للحسين بن علي أمير المؤمنين.. من شيعته وشيعة أبيه..

أما بعد...

فحيهلا فأن الناس ينتظرونك لا رأي لهم غيرك، فالعجل العجل يا بن رسول الله، فقد اخضر الجناب، وأينعت الثمار، وأعشبت الأرض وأورقت الأشجار، فأقدم إذا شئت، فإنما تقدم إلى جندٍ لك مجندة

---

١ - ابن طاووس: اللهوف على قتلى الطفوف: ٣٦.

٢ - سبط ابن الجوزي: تذكرة الخواص: ٢٤٨ الطبعة الثانية النجف.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وعلى أبيك من قبل.[1]

ولم يفت الإمام الحسين عليه السلام أن يستخبر عن هوية أصحاب الكتاب الذين أظهروا استعدادهم لنصرته ووقوفهم معه فهم ينظرون إلى الناس بأنهم ينتظرونه ((ولا رأي لهم غيرك)) فعجلوه على القدوم وأغلظوا له العهود فقال الحسين عليه السلام لهانئ بن هاني السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي: **خبراني من اجتمع على هذا الكتاب الذي كتب معكما؟** فقالا لهُ: يا بن رسول الله اجتمع عليه شبث بن ربعي، وحجار بن أبجر ويزيد بن رويم، وعزرة بن قيس، وعمرو ابن الحجاج، ومحمد بن عمير بن عطارد.[2]

الإمام الحسين عليه السلام لم يغرر برسائل القوم:

وهؤلاء صاروا قادة جيش ابن سعد ومن أشد الناس على الحسين عليه السلام ولا يعني إن الحسين انغر بهؤلاء، أو استقدمه المتخاذلون إلى الكوفةِ ثم أسلموه عند الوثبة، فالحسين أعز من أن يُغر، وأسمى من أن يُستغفل، وما كان مقدمه إلى الكوفة بسبب رسائل هؤلاء المتخاذلين، بل كان الحسين يعيش هاجس الخوف من ولاية يزيد على المسلمين، وتملكه لأمورهم، فيُمحق الدين وتُهتك الحرمات، وواجب الحسين عليه السلام أن يمنع هذا التعدي، وأن يحفظ الحدود وأن يصون الحرمات، وأن يصلح ما أفسده معاوية وآل أبي معيط من قبل ليحفظ للإسلام هيبتهُ، وللمسلمين

---

١ - الخوارزمي: مقتل ١: ١٩٥.

٢ - المصدر نفسه.

عزهم ومنعتهم وكرامتهم، وليس للحسين عليه السلام - إذن - من عذرٍ في تأخير ثورته، وتأجيل صيحته، وتفويت فرصة النهوض التي كان الحسن عليه السلام من قبل يرجو اقتناصها ويأمل إتاحتها له، فلما توفرت لأخيه الحسين فلا بد من استغلالها وركوب التحديات في سبيل انجازها.

أذن لم تدفع الحسين عليه السلام الثائر رسائل القوم، ولا تدعوه دعوات الناس، بل كان الحسين عليه السلام مدفوعاً بضرورة التغيير، ومأخوذاً بوجوب الإصلاح، ومسترشداً بظهور بوادر الرفض العام لتسلط بني أمية على رقاب المسلمين، ثم هو مدفوعاً بداعي الشرع والأخلاق.

وهل بعد هذا كله يحتاج الحسين بن علي أن تحركه أمنيات القوم، وتسترعيه دعوات الناس؟!

نعم، يمكن القول بأن رسائل القوم كانت حجة يحتجُ بها المؤمنون الذين دعوهُ للقدوم - وكم هم كثرٌ - فهذا سليمان بن صرد، والمسيب بن نجبة، وحبيب بن مظاهر، ورفاعة بن شداد، وعبد الله بن وال وجماعات من المؤمنين به وبأخيه وبأبيه أن لا إمام لهم غيره، وكانت رسائلهم له صحيحة، ونصرتهم له صادقة، ودعوتهم إليه معروفة، وأدل دليل على ذلك إن حفدة الحق من هؤلاء، وجماعات النصرة المعهودة قد زج بهم ابن مرجانه في سجون الكوفة، وألقى بهم في مطامير التغييب، وأردى بهم في دهاليز التعذيب حتى أنه قيل أن ابن مرجانه قد ألقى باثني عشر ألف من المؤمنين شيعة علي في سجون الكوفة قبل وصول الحسين عليه السلام إليها، ولم ينجُ من هؤلاء إلا عصبةُ حقٍ قليلون التحقوا بالحسين واختلطت دمائهم بدمه الزكي.

وكم من عجيبِ القول بأن رسائل القوم هذه كانت بتحريض بني أمية لتغرير الحسين على القدوم، واستنزاله ميدان القتل ليتخلص منه بنو أمية كإجراءٍ في تصفية الحسين، ولا ادري استغفال الحسين في حساب هذا المستغفل وأمثاله كيف يصوره مع عصمة إمام لا يستزله شيء، ولا يثيرهُ أحد وهو الذي يستنزل أنباء الغيب من لدن حكيم عليم، واصطفاءً واجتباءاً.

الجواب الموحد:

ولم يتح للحسين عليه السلام أن يجيب على أكثر من اثني عشر ألف كتابِ أو ((ما ملأ خرجين))[1] كل واحدٍ يخصه بجواب، بل كتب نسخة واحدة دفعها إلى هانئ بن هانئ السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي وكانا أخر الرسل ووجه إلى الكوفيين بإعطاء البيعة إلى ابن عمه مسلم بن عقيل إن كانوا صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وبذلوا أنفسهم في طاعته، فان مسلماً سيقوم مقام الحسين عليه السلام يستجلي نفوسهم، ويستشرف هممهم، ويستكشف نياتهم، ويستوضح دخائلهم، فأن كان الأمرُ قد صلح للمجيء، فأن الحسين قادم إن شاء الله... وكانت نسخة الكتاب هكذا:

---

١ - الخوارزمي: مقتل ١: ١٩.

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين.. السلام عليكم..

أما بعد:

فإن هانئ بن هانئ وسعيد بن عبد الله قدما عليّ من رسلكم وقد فهمتُ الذي اقتصصتم وذكرتم، ولستُ أقصر عما أحببتم.

ومقالة جلكم أنه ليس لنا إمام، فأقبل لعل الله يجمعنا بك على الهدى..

وقد بعثتُ إليكم أخي وأبن عمي، وثقتي من أهل بيتي، مسلم بن عقيل بن أبي طالب، وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وخبركم ورأيكم، ورأي ذوي الحجى والفضل منكم، وهو متوجهٌ إليكم أن شاء الله، ولا قوة إلا بالله،

فإن كنتم على ما قدمتْ به رسلكم، وقرأتُ في كتبكم، فقوموا مع أبن عمي وبايعوه ولا تخذلوه، فلعمري ما الإمام العامل بالكتاب القائم بالقسط، كالذي يحكم بغير الحق، ولا يهتدي سبيلا.

جمعنا الله وإياكم على الهدى، وألزمنا كلمة التقوى، أنهُ لطيفٌ لما يشاء. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.[1]

---

١ - الخوارزمي: المقتل ١: ١٩٥، ابن شهر اشوب: مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٤٢، سبط ابن الجوزي: تذكرة الخواص. وفي تأريخ الطبري ٦: ١٩٨، ورد: أقدم عليكم وشيكا إن شاء الله، فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائن بالحق والحابس نفسه عن ذات الله والسلام)).

تكليف مسلم بن عقيل بالمهمة:

ثم طوى الكتاب وختمه ودعا بمسلم بن عقيل فدفع الكتاب إليه، وقال: **إني موجهك إلى أهل الكوفة، وسيقضي الله من أمرك ما يحب ويرضى، وأنا أرجو أن أكون إنا وأنت في درجةِ الشهداء، فامضِ على بركة الله وعونه، حتى تدخل الكوفة، فإذا دخلتها فأنزل عند أوثق أهلها، وادعُ الناس إلى طاعتي فإن رأيتهم مجتمعين على بيعتي فعجل عليّ بالخبر حتى أعمل على حسب ذلك إن شاء الله تعالى، ثم عانقه**عليه السلام وودعه وبكيا جميعاً[1].

كان الموقف ملتهباً بالمشاعر، متحمساً في انتزاع صورة وجدانٍ يجيشُ بكل ما يحملهُ المستقبل من تحسبات النصرةِ أو الخذلان، والبيعة أو التمرد، والاجتماع أو التفرق عن رجلٍ أعطاه الحسين كل ثقته، وبارك له في حلهِ وترحاله، ودعا له بكل ما ينبغي لفدائيٍ يرجو أن يكون في طليعة الشهداء، ليرتقي إلى درجة السعداء التي سعى إليها مسلم وهو يجوبُ الفيافي لا يلوي على شيء ليبلغ غاية الظفر بإحدى الحسنيين، نصرٌ أو شهادة، وأيُ نصرٍ يبلغه الشهيد وهو يسجلُ للأجيال ملحمة الفداء، ويؤكد لمبادئه وطريقته المثلى، ثم هو يبلغُ قبل هذا وذاك رضا الله، وضيافة عنايته.

---

١ - مقتل الخوارزمي ١: ١٩٦.

لماذا مسلم؟

ولم تكن هذه الرسالة مبعث محاباة دعت الإمام إلى أن يصف مسلم بن عقيل بهذه الصفات، ولم تكن دواعي الاختيار رعايةً للقرب، أو دعايةً للمقام، أو استنهاضاً للهمم، أو استجلاباً للرضا، بل كان الحسين الإمام ينظر بعين الواجب، ودواعي الحكمةِ ومقتضيات المهمةِ، وهي تستدعي مثل مسلم ذلك العظيم المختار لمثل هذه المهمةِ الخطيرة، والشائكةِ في توجهاتها ومراميها، وليس غير مسلم لمجتمعٍ من شتات الأقطار، ومختلف التوجهات وهم بين شيعةٍ ينتصرون للإمام، وبين شذّاذٍ ينحازون لأهدافهم الشاذة، وبين خوارج يتعصبون لما وطنوا عليه أنفسهم، وبين همجٍ رعاع لايرعون ما هم فيه من أمرٍ وهكذا هي تشعبات أهل الكوفة في دواعيهم وفي أهوائهم، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد أن يكون لهذهِ المهمة ومع هكذا متغيرات، قائدٌ حكيمٌ، وعارفٌ حصيفٌ يداري ما في نفوس القوم، ويعالجُ ما جُلبت عليه أهواؤهم.

الكوفة الولادة الجديدة:

لم يكد سعد بن أبي وقاص يستقر في المدائن بعد قفوله من معركة القادسية، حتى بعث وفداً إلى العاصمة الإسلامية المدينة وقتذاك، فلما نظر عمر إلى أجسادهم قد تغيّرت، وألوانهم قد شحبت، تساءل عما أحدثته الأيام بهم، فقالوا إن وخومة المدائن أخذت منا ومن أجسادنا فلا تقرّ لنا هجعةٌ، ولا ترقى لنفوسنا أمزجة نقوى بها على ما نحن عليه قادمون.

فقضى عمر حوائجهم كأسرع ما يكون، وكتب إلى سعد أن يرى مكاناً يوافق أمزجتهم بما يوافق معها إبلهم، فإذا صلحت إبلهم صلحت شؤونهم، هكذا هم العرب يوافقون بأمزجتهم ما وافق به أمزجة إبلهم.

ولم يكد عمر أن يقدم على تمصير مدينةٍ حتى يتشاور مع ذوي الخبرة والمعرفة، ولم يجد غير علي عليه السلام قد عرف ما يصلح مصالح النّاس، فأشار عليه أن يبعث بسلمان الفارسي وحذيفة - وهما كما هو معروف حليفان لعليّ عليه السلام لا يتوافقان مع عمر في كثير من مواقفهما، وليس هنا محل ذكره - وما يدلّ على اختيار عليّ لاستشارته واختياره الكوفة مصراً جديداً، ما دفع علي عليه السلام بُعيد تولّيه الخلافة أن يجعل العاصمة الإسلامية الجديدة الكوفة؛ للخصوصيات التي تميزت بها هذه المدينة الإستراتيجية[1].

وكان عليّ عليه السلام قد نصح عمرَ بتمصير الكوفة، وتنبّأ بيومها الموعود ومستقبلها المشرق، فقال عليّ عليه السلام: يا أمير المؤمنين، والله إن الكوفة للهجرة بعد الهجرة، وأنها لقبلة الإسلام، وليأتين عليها يوم لا يبقى مؤمن إلا أتاها وحنّ إليها، والله! لينصرن بأهلها كما انتصر بالحجارة من قوم لوط.

ولعلّ هذه النبوءة ستكشف خطورة الكوفة في رسم الأحداث ومشاركتها في قرارات الدولة الإسلامية القادمة.

ويتفق الجميع على تمصير الكوفة، تلك الأرض السهلة الحمراء

---

١ - راجع تفاصيل ذلك في تأريخ الطبري: وابن الأثير في الكامل، وغيرهم في أحداث سنة ١٧هـ.

رملها المخلوط بالحصباء، وكلّ ما كانت كذلك فهي (كوفة) وليس كما يظنّ بعضهم أنها كانت مدينة لبعض الأعراب، كما ان السهلة ما كانت أرضها ذات رمل احمر لا تشوبها حصباء فتسمّى بالسهلة.

وما كان من الريف ما يلي الفرات فهو الملطاط، وما كان يلي الطين فهو النجاف، ولعل هذا هو احد أسباب التسمية بالنجف نجفاً، ويأمر سليمان وحذيفة وغيرهما من المسلمين بعد أن كتبوا إلى عمر يعلمونه ما اتفق عليه الرأي بتمصير هذه الكوفة الحصباء، ولا يجد الخليفة غير التسليم لواقع الحال، وتفويض الأمر إلى تلك العصابة من الأخيار ليجددوا - على بركة الله - مسجدها الذي حددته سهام احد الرماة لجهاتها الأربعة، وما دون ذلك فليشيدوا أكواخهم القصبيّة المتواضعة، فان سعداً بأمر الخليفة لا يرى ضرورة عمران بيوت الآجر، والمسلمون ينبغي لهم أن يعيشوا شظف العيش ومرارته في أكواخ القصب التي ترمز إلى شعار عمر في الزهد والتقشّف، إلا أن قرار الخليفة لا يشمل سعداً وحياة سعد، فلسعد ابن أبي وقاص أن يبني قصره الشامخ جوار المسجد الكوفي الجديد، وان يعلو ببنيانه كل شيء دون غضاضة أو حزازة يجدها الخليفة لسعادة سعد، ولم يتخلف سعد عن الاستغاثة بالمجوسي روزبه، وهو مهندسٌ كسرويٌ حاذق فرّ من كسرى ولجأ إلى الروم، ثم اسلم كما يُقال.

ولم يكد يستقر سعد في مقره الجديد حتّى اظهر أبّهة الملك وجبروت الأكاسرة حين كانت الحيرة عاصمتهم، وهي لا تبعد عن الكوفة إلا قليلاً، حتى انه أمر بنقل أحجار قصور الأكاسرة في الحيرة

لبناء قصره إيغالاً في تقليد ملكهم، ولعلّ سعداً قد تفاقمت كسرويته وهو يجوب بلاد فارس إبان فتحه لها، فجاشت في نفسه عظمة جبابرتهم، ونزع إلى تقليدها ومحاكاتها. وفي هذه الأثناء من شهر شوّال يلتهم حريقٌ مفاجئٌ بيوت المسلمين الضعفاء فيفنيها عن آخرها، عند ذاك أمر الخليفة ببناء بيوت الآجر المتواضعة، وان لا يزيد احدهم على ثلاثة أبيات، ولا يتطاولوا في البنيان، وهذه رغبة الخليفة عمر خوف السرف والتبذير، دون سعد ابن أبي وقاص، فإن لسعدٍ عند الخليفة سعادة الاختيار. ولم تكن مهمة العمران عند الخليفة وصاحبه سعدٍ بقضيةٍ ذات بال، كما كان لتمصير المدينة الجديدة من قبائل العرب ومواليها، فلها أهميتها السياسيّة والأمنيّة مستقبلاً. فالتخطيط العمراني لدى سعد سيكون من الأهمية بمكان، وتوزيع القبائل قربها وبعدها من المسجد على أساس ولاءاتها، فالجغرافية البلديّة لمدينة الكوفة سترتسمها الولاءات الحزبية للدولة المتمثلة بالخليفة، وللإقليم المتمثل بالوالي.

فأنزل في ودعة الصحن سليماً وثقيفاً، وهمدان على طريق، وبجيلة على طريق آخر، وتيم اللات وتغلب على آخرهم، وانزل في قبلة الصحن بني أسد على طريق، وبين بني أسد والنخع طريق، وبين النخع وكندة طريق، وبين كندة والأزد طريق، وانزل في شرقي الصحن الأنصار ومزينة على طريق، وأسد وعامر على طريق، وانزل في غربيّ الصحن بجالة وبجلة على طريق، وجديلة وأخلاط على طريق، وسائر الناس بين ذلك ومن وراء ذلك.

والمتمعّن لهذا التوزيع السكّاني سيجد أنّ ولاءات القبيلة ستقربها

إلى قصر سعد، وهو القصر الرسمي الذي تُدار منه البلاد، وقربهم إلى القصر أو بعدهم يتناسب وإظهار الولاء للوالي التي ستشكّل هذه القبائل حزاماً امنياً يصعب اختراقه عند الأزمات.

هكذا هي الكوفة قاعدة عسكرية مهمّة تتوزّع فيها الولاءات الحزبية قبل ولاء القبيلة، فللكوفة شأن غير شأن الأخريات من المدن التي مصّرها المسلمون إبان عهد عمر، كالبصرة، أو التي افتتحها في عهده، كالمدائن، أو التي اقضّ مضجعها الفتح فأُحيلت إلى أطلال الأكاسرة، كالحيرة فإنها مدن هي إلى الاستقرار أقرب منها إلى الحركة والهياج السياسي، كما هي كوفة الجند.

بعد أن استقر الحال بقبائل الكوفة، واختطّوا خططها بعد مسجدها العامر، توزّع في تلك الكوفة شتات الجيوش وبقايا عساكر فارس لينضمّوا إلى المدينة الجديدة التي أخذت من دارة الخلافة أمراً مهماً حرصت معه إلى ترسيم حدودها الولائيّة قبل خارطتها السكّانيّة، فإن للكوفة بعد ذلك شأنا من الشأن، يتنافس ذوو السلطان على ولائها، أو قل على أن يأمنوا ما هم يحتملون من شرّ تمرّداتها ما يحملهم على الكثير في دفع ثمن هذه الاتجاهات العسكريّة (المسيّسة).

كان جند شاهنشاه (إمبراطور فارس) يشكّلون قوة عسكرية ضاربة يستعين بهم رُسْتَم (قائد جيوش الفرس) حتّى بلغ بهم عددهم إلى أربعة آلاف مقاتل، فلما انهزم رُسْتَم انحازوا إلى المسلمين على أن ينزلوا حيث احبّوا، ويفرض لهم العطاء، وكان نقيبهم ديلم، فقيل لهم: (حمراء ديلم).

ولم يكد زياد أن يستأمن شرّهم وان ينتصر بقوتهم حتّى عزم على تفريقهم، فسيرهم إلى الشام بأمر معاوية، فسموا هناك بالعجم، واُلحق بعضهم إلى البصرة، فدخلوا في الاساورة، فكانوا منهم.

ولعلّ هؤلاء الحمراء كانوا ينتسبون بالولاء إلى عليّ بن أبي طالب لّما كان علي عليه السلام يعاملهم معاملة الإنسان المستضعف، فضلا عن كونهم الأيدي العاملة الفنيّة الناشطة في اعمار الكوفة وتأسيسها، في حين كان عمر يتوجّس منهم فينزع إلى إضعاف قوتهم لئلا يكونوا في يومٍ ما قوةً ضاربةً تخترق قرارات الخلافة، فيكون لهم شأن المعارضة القوية التي لا يستطيع عمر أو غيره من صدّها، هكذا كان عمر مع هؤلاء الحمراء حتّى عمد إلى إضعاف قوتّهم الاقتصادية، فأبخس في عطاءاتهم، إلا أن علياً أنصفهم، فجعلهم كأهل الذمة، أو كالمسلمين الذين حسن إسلامهم. وهكذا ورث هذا التوجس زياد ومن تلاه.

كان (ابرويز) وجّه إلى الديلم، فأتى بأربعة آلاف من خدمه وخاصّته، فلما انهزم المجوس أقاموا في الكوفة، فصاروا قوة يحسبون لها حسابها.

وليس الزطّ وهم السيابجة وهم قوم من السند والسودان نزلوا البصرة بمنأىً عن الكوفة وتمصيرها، فلهم في ذلك حظوة المشاركة في اعمارها وبناء خططها، فهم يتحالفون مع بني حنظلة ليكون لهم حظّ من فتح البصرة حين الجمل ليلتحقوا بحشود عليّ العسكرية، ثمّ ينزح بعضهم إلى الكوفة فيشكّلوا قسما من سكانها، ومعلوم أن هذه التشكيلة السكانية الخطيرة ستفتح آفاق الانتماء السياسي والتعددية الحزبية التي

تعجّ بها الكوفة، إلا أن ذلك لا يلغي أهميتها، وهي تراكمات آراء تعصف بالقرار السياسي القادم من دارة الخلافة، ولا نبالغ أن نقول: أن القرار السياسي للخليفة لا يتحرر من عقالهِ ما لم يمرّ بهذه التيارات السياسية المتشابكة والمضطربة أحياناً. أي ستكون الكوفة حاضرة سياسية تقرر في كثير من الأحيان توجهات الخلافة.

وفي مشتبك هذه الآراء ستشكل الكوفة ((مرتعاً)) سياسياً لكثيرٍ من القرارات، وهي العقدة التي كانت تؤرّق الخلافة في المدينة، فنضوج القرار السياسي لا يتم إلا إذا مرّ في طبخةٍ كوفيةٍ يصادق عليه أهل الرأي من قبائل إلى موالي إلى غيرهم وهؤلاء الحمراء من الزطّ والسيابجة، والفرس الاساورة، لم يكونوا التشكيلة العمّاليّة العاكفة على عمران الكوفة فحسب، دونما يكون لها حضورها في المصادقة على القرارات الصادرة عن الخليفة، ولم يكن بوسع احدٍ من هؤلاء حلّ مشكلة هذا الاضطراب الثقافي والانتماء السياسي ما لم يكن قريبا من مركز الغليان الكوفي بكلّ توجّهاته، وبالفعل فإن عليّا بادر إلى الرحيل الكوفي ليؤسس عاصمته على أساس تلك الثقافات المتعددة والحضارات المختلفة، وليكون لها قريبا يأخذ بحجزة آرائهم، ويروّض هذا الهياج السياسي، ومن ثَمّ سيجعل من هؤلاء وغيرهم شيعة لهم وزن في المعادلات السياسية ودور في الأحداث القادمة سلباً وايجاباً.

كان النسيج الاجتماعي نسيجاً معقّداً من التيارات السياسية التي لا يقر لها قرار، وكان عليّ عليه السلام يتدافع مع أذواق هؤلاء الذين يستجيبون لرغباتهم، ويخنعون لأهوائهم، فتراهم يترددون بين الفينة والأخرى

بقراراتهم وانتسابهم.

ولم يكن لتشعب الآراء أثره في الذوق الكوفي على القرارات الصادرة من الخليفة بقدر ما تعدّ في كثير من الأحيان معارضة خطيرة تفتك بقرارات الخليفة.

ولم تمر على هذه القاعدة العسكرية مدة من الزمن حتى صارت (كوفة الجند) هي كوفة القرار السياسي، فهي العاصمة الجديدة المكتظّة بالاتجاهات الجديدة، تنافس اليوم العاصمة المدينة التي باتت تقليديّة حتى في إبداعاتها، وهي اليوم لم تعطِ البريق السياسي الذي كان إبّان عهد النبوة، والإبداع يتجدد باكتظاء الآراء الجديدة والتوجهات المختلفة كما في كوفة الجند اليوم، وعليّ أراد أن يقتحم وسط الأحداث فينزل فيها خليفة ومروضاً ومؤدبا لإحداث كوفة الجند هذه.

وتتفاقم الولاءات السياسية لدى الكوفيين، وتتضخم شخصيتهم بتعاظم الأحداث الكامنة خلف مفاجئات الأحداث. وتنقسم الكوفة على نفسها في ولائها للخليفة الجديد، وتعدد رغباتها بتعدد أطيافها السكانية والسياسية، وتتمخض عن ولادات جديدة من الحركات المؤيّدة للإمام والمناوئة له، وكان أشدّها عليه أولئك الخوارج الذين تفلسفوا على أنقاض أحداث صفّين حين رفعت المصاحف فانحازوا إلى عواطفهم ولم يحكّموا عقولهم، وتتفاقم مشكلة الخوارج حتّى باتت معارضةً ناشطةً تقف بوجه عليّ وأولاد عليّ عليه السلام.

وإذا تشعّبت الكوفة سكّانيا فقد تشعّبت في ولاءاتها السياسية، وتأييدها العقائدي.

إذن فالكوفة بقدر ما هي شيعية الولاء، فهي متحزّبة لآرائها الخاصة ومصالحها الشخصية، وفي الوقت نفسه فهي منحازةٌ إلى ما تميل اليه رغباتها، حتى لا يظهر من شيعة عليّ الكوفيين سوى نتفٍ من التجمعات القبائلية، أو تجمّعات من الذين عاهدوا الله فعاهدوا علياً بالنصرة والذبّ عنه وعن أولاده الميامين. ولا تعني الكوفة سوى بحبوحة ولاء تتركز بقوّة في مناطق النفوذ الشيعي القبائلي، وتخبو حتّى تغيب ضمن تيارات الولاء السياسي وباعة مصالح السلطان، ونتوءات الخوارج، وفقاعات الآراء الجديدة المتشدّقة بفلسفاتٍ مناوئة لخطّ الإمامة.

من هنا سنعرف الكوفة المضطربة في ولاءاتها للإمام حيناً، أو القائمة على عهدها في النصرة والدفاع أحياناً أخرى. فأولئك الناكصون لم يكونوا شيعته ومريديه، بل هم قوم سلطان وذوو مصالح، وهؤلاء المتربصون لندائه واستجابته شيعته وأتباعه ومريدوه، والشيعة بالنسبة إلى الأعداد الهائلة من الانقسامات السياسية لا يشكّلون إلا نسبة ضئيلة لا تقوى على تغيير المواقف أو توجيه الأحداث لصالح طاعة الإمام، ولعلّنا نستذكر ما أقدم عليه أبو موسى الأشعري من تثبيط الناس عن الالتحاق بالإمام في معركة الجمل، أو ما اتخذه من موقف المتخاذل المتوقف عن بيعة الإمام عليّ عليه السلام، حتى حرّض مالك الاشتر على بيعته، فجعل يده اليمنى بيد الإمام، واليسرى بيده، فصفق هذه على هذه رامزا إلى اخذ البيعة للإمام وتبعه الكوفيّون.

وتتجاذب الكوفة في ولاءاتها، والغلبة للمتخاذلين الذين يثبّطون الناس عن نصرة الإمام وبيعته، وهكذا عانى الإمام عليّ عليه السلام من هؤلاء

الذين يعشعشون في العقليّة العامة بكل تخبّطاتها وتشكيكاتها، وتبقى لشيعة الإمام عليّ عليه السلام محض الإخلاص والوفاء للإمامة الممتدّة من عليّ عليه السلام مرورا بالحسن عليه السلام حتى الحسين عليه السلام.

وحيث تتحرك قافلة الحسين عليه السلام متّجهة من مكّة إلى كربلاء تتحرّك معها قلوب شيعتهم فيغادرون معاقلهم إلى حيث البيعة والولاء، وينخرطون إلى البيعة لمسلم واخذ البيعة له، ويتكتّلون حوله، ويقيمون على أمره، ويجمعون له الأنصار، ويزودونه بالسلاح، ويأتون له بالأموال، حتى إذا خذله الناس من أهل المصالح - لا من شيعة الإمام - أوعز إليهم بالتفرق عنه وبأمر منه، فهم أهل الواقعة القادمة التي سيشهدها هؤلاء، يناورون بها احداث الخذلان والنكوص، ويدّخرون نصرتهم لسيّدهم، وكان ذلك بأمر مسلم بن عقيل عليه السلام، حيث أمرهم بأن يتفرقوا وينفضّوا من حوله ليدّخروا نفوسهم إلى نصرة سيّدهم، وهكذا فشيعته لم يخذلوه، بل نصروه حتّى في ساعة الشدة وخذلان القوم، ولدينا من قوائم النصرة من شيعة الكوفيين ما يجعلنا جازمين أن أنصارهم من أهل الكوفة لم يخذلوه، بل هم الذين مهّدوا لمسلم بن عقيل عليه السلام مهمّته، وسهّلوا له أمره، واخذوا البيعة له من عامّة الناس الذين خذلوه، فلمّا خذلوا مسلماً انفضّوا من حوله بأمر مسلم حفاظاً على حياتهم ليدّخرهم لنصرة الحسين عليه السلام وللوقعة الكبرى، وقائمةٌ من هؤلاء الذين كانوا مع مسلم بن عقيل في الكوفة بعد تفرقّهم واختفائهم ثمّ التحاقهم فور وصول الحسين عليه السلام إلى كربلاء دليل ولاء الكوفيين من شيعتهم، ونصرتهم وعدم خذلانهم، فكان من أهمهم:

١- برير بن خضير.

٢- جابر بن الحجّاج.

٣- جبلة بن عليّ الشيباني.

٤- جنادة بن الحارث الانصاري.

٥- حبّاب بن الحارث.

٦- حبيب بن المظاهر الاسدي.

٧- ضرغامة بن مالك.

٨- مسلم بن عوسجة.

٩- عبد الرحمن بن عبد الله الارحبي.

١٠- عمرو بن خالد الصائدي.

١١- يزيد بن حصين المشرقي.

هؤلاء شيعة عليّ والحسين قادة الأحداث يتفرّقون بعد اخذ البيعة، ويناورون الجيش الأموي للإبقاء على أنفسهم لنصرة سيدهم الحسينعليه السلام، فهم ليسوا بالمنهزمين، بل هم قادة الأحداث، ورجال المواقف الصعبة، أمّا أولئك الذين تفرّقوا عن مسلم بن عقيل فهم متشيّعون وليسوا بشيعته وأتباعه، بل يتذبذب تشيّعهم بين الخوف من السلطان، إلى الرجاء فيما في أيديهم من الجاه والمال والملك.

هذه هي الظروف الكوفيّة التي انطلق منها أنصار الحسين عليه السلام، وتلك هي التي تحكّمت في تحرّكاتهم، وحجّمت من نشاط آخرين، ومن بين زحمة الأحداث هذه كان للحضور الكوفي أنصارٌ ومقاتلون ما طأطأ كلّ موقف لشرفهم وشهامتهم.

الكوفة المتشعبة:

لا ننسى أن للكوفة خصائص تميزها عن غيرها، وهي قبائليتها المشهورة، وأسباعها المعروفة وكانت في عهد سعد بن أبي وقاص قبائل شتى ((فأرسل إلى قوم من نسّاب العرب وذوي رأيهم وعقلائهم منهم سعيد بن نمران ومشعلة بن نعيم فعدلوهم على الأسباع فجعلوهم أسباعاً)) [1].

ومن المفيد جداً أن نستعرض هذهِ التعديلات القبائلية، والتنظيمات الأسباعية التي افتتحها سعد بن أبي وقاص بإشارةٍ من عمر وكانت هذهِ التعديلات هكذا:

التعديل الأول:

وهو بداية تعديل الأسباع وكان في عهد سعد بن أبي وقاص وكان الأول من نوعه:

١ ـ كنانة وحلفاؤها من الأحابيش وغيرهم سبعاً.

٢ ـ جديلة وهم بنو عمرو بن قيس عيلان سبعاً.

٣ ـ قضاعة ومنهم يومئذ غسان بن شبام، وبجيله وخثعم وكندة وحضرموت والأزد سبعاً.

٤ ـ مذحج وحمير وهمدان وحلفاؤهم سبعاً.

٥ ـ تميم وسائر الرباب وهوازن سبعاً.

---

١ - البراقي: السيد حسين، تاريخ الكوفة: ١٥٩.

٦ ـ أسد وغطفان ومحارب والنمر وضبيعة وتغلب سبعاً.
٧ ـ إياد وعك وعبد القيس وأهل هجر والحمراء سبعاً.[١]
قال الطبري بعد ذكره للأسباع:

وعرفوهم على مائة ألف درهم فكانت كل عرافة من القادسية خاصة ثلاثة وأربعين رجلاً وثلاثاً وأربعين امرأة وخمسين من العيال، لهم مائة ألف درهم، وكل عرافة من أهل الأيام عشرين رجلاً على ثلاثة آلاف درهم وعشرين امرأة وأربعين من العيال ممن كان رجالهم ألحقوا على ألف وخمسمائة على مائة درهم ثم على هذا من الحساب.

وقال عطية بن الحارث قد أدركت مائة عريف كان العطاء يدفع إلى أمراء الأسباع وأصحاب الرايات والرايات على أيادي العرب فيدفعونه إلى العرفاء والنقباء والأمناء فيدفعونه إلى أهله في دورهم[٢].

وأنت إذا تمعنت في تسبيعات سعد فستجدها سياسية أكثر من كونها أدارية، فإن هذه الأسباع المقسمة أوجدت حالة من التكتلات المستندة إلى ولاءات مختلفة، وتجمعات غير متكافئة في قربها أو بعدها إلى السلطان، ولعلك ستجد هذه واضحة المعالم في تقسيمات اليعقوبي لمنازل الكوفيين، لتجد القرب والبعد إلى قصر الإمارة – القصر الرسمي للحكومة – معتمداً على الولاءات الخاصة التي يضمرها أصحاب المنازل، أي أن الخارطة العمرانية للكوفة اعتمدت على الولاءات السياسية والفكرية التي يحملها أصحابها.

---

١ - الطبري : تأريخ الأمم والملوك: ١٥١.

٢ - ن.م: ١٥٢.

قال اليعقوبي: كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص لما أفتتح العراق، يأمره، إن ينزل بالكوفة ويأمر الناس أن يختطوها، فأختط كل قبيلة مع رئيسها، فأقطع عمر أصحاب رسول الله ﷺ فكانت عيسى إلى جانب المسجد، ثم تحول قومٌ منهم إلى أقصى الكوفة وأختط سلمان بن ربيعة الباهلي والمسيب بن نجبة الفزاري وناسٌ من قيس حيال دار سعود، واختط عبد الله بن مسعود وطلحة بن عبيد الله وعمرو بن حريث الدور حول المسجد، واقطع سعد بن قيس عند دار سلمان بن ربيعة بينهما طريقاً، وأستقطع سعد بن أبي وقاص لنفسه الدار التي تعرف بدار عمر بن سعد، وأقطع خالد بن عرفطة وخباب بن الإرث وعمرو بن الحرث بن أبي ضرار وعمارة بن روبية التميمي، واقطع أبا مسعود وعقبة بن عمر الأنصار وأقطع بني شمج بن فزارة مما يلي جهينة، وأقطع هاشم بن عتبة بن أبي وقاص شهارسوج خنيس، وأقطع شريح بن الحارث الطائي وأقطع عمر بن أسامة بن زيد داراً مابين المسجد إلى دار عمرو بن الحارث ابن أبي ضرار، وأقطع أبا موسى الأشعري نصف الآري، وكان فضاءاً عند المسجد، وأقطع حذيفة بن اليمان مع جماعة من عيسى نصف الآري، وهو قضاء كانت فيه خيل المسلمين، وأقطع عمرو بن ميمون الآوي الرحبة.. وأقطع أبا جبيرة الأنصاري وكان على ديوان الجند، وأقطع علي بن حاتم وسائر طي ناحية جبانة بشر، وأقطع الزبير بن العوام وأقطع جرير بن عبد الله البجلي وسائر بجيله قطعة واسعة كبيرة وأقطع الأشعث بن قيس الكندي

وكندة من ناحية جهينة إلى بني أود..[1]

وكانت هذه الخارطة العمرانية تنبئنا عن النظرة السياسية التي يحملها هذا التقسيم، فقد روعي فيها أمرين:

الأول: مراعاة الولاءات السياسية للحاكم فإننا نجده داعياً مهماً في القرب والبعد للقصر الحكومي الرسمي الذي يقيم فيه الوالي فمثلاً: اختط عبد الله بن مسعود وطلحة بن عبيد الله وعمرو بن حريث دورهم حول المسجد، وأعطى سعد بن أبي وقاص لأبي موسى الأشعري نصف الآري وكان فضاء عند المسجد - كما في تعبير اليعقوبي- وهكذا فأن القرب من مسجد الكوفة وقصر الأمارة يعني أن ولاءً خاصاً للنظام يحمله أصحاب الدور هذهِ ولا يغيب عنا ولاءات طلحة بن عبيد الله وعمر بن حريث وأبي موسى الأشعري وقربها للنظام

الثاني: مراعاة الخصوصية الشخصية، والمكانة الاجتماعية بعيداً عن الولاءات السياسية والفكرية كما في سلمان بن ربيعة الباهلي والمسيب بن نجبة الفزاري حيث أختط لهم دوراً حيال دار مسعود وهي قريبة شيئاً ما إلى قصر الإمارة، وكما في حذيفة بن اليمان الصحابي المعروف أقطع له نصف الآري قرب المسجد.

وهكذا تتحكم الدواعي في توزيع هذا التخطيط الكوفي الذي ابتدأه سعد بن أبي وقاص.

ولعل الذي يعيننا على هذا الرأي هو ما اتخذه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من تقسيم جديد عند وصوله الكوفة كأمرِ احترازي، وعملية

---

١ - البراقي: تاريخ الكوفة: ١٦٠.

استباقية لتوطيد الأمن والاستقرار في بلدٍ يعجُ بالتناقضات الفكرية أو سيؤول أمره إلى ذلك، وسيأتي الكلام في التعديل الثاني.

التعديل الثاني:

هو التعديل الذي أتخذه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عند اتخاذه الكوفة عاصمةً له، حيث أعاد تقسيماتها على أساس ولاءاتها:

١ - همدان وحمير والحمر.

٢ - مذحج وأشعر وطي.

٣ - قيس وعبس وذبيان وعبد القيس.

٤ - كندة وحضرموت وقضاعة ومهرة.

٥ - الأزد وبجيله وخثعم والأنصار.

٦ - بكر وتغلب وبقية ربيعة.

٧ - قريش وكنانة وأسد وتميم وضبة ورباب.[1]

ونحن نلاحظ أن التقسيمات الجديدة التي عملها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كانت هي على خلفيات ولاءاتهم له عليه السلام، فمثلاً: كان السبع الأول كنانة وحلفاؤها وجديلة، فاستبدلت إلى همدان المعروفة بولائهم للإمام أمير المؤمنين عليه السلام والحمر وهم الجند الفرس الذين عدتهم ((أربعة آلاف يسمون جند شانشاه فاستأمنوا على أن ينزلوا حيث أحبوا ويحالفوا من أحبوا... وكان لهم نقيب منهم يقال له ديلم فقيل حمراء ديلم، ثم أن زياداً سيّر بعضهم إلى بلاد الشام بأمر معاوية فهم بها يدعون

---

١ - البراقي: تاريخ الكوفة:١٦٣.

الفرس، وسيّر منهم قوماً إلى البصرة فدخلوا في الأساورة الذين بها، قال أبو مسعود: والعرب تسمي العجم الحمراء، ويقولون جئت من حمراء ديلم كقولهم جئت من جهينة وأشباه ذلك))[1].

وقد ظهر لنا ولاء الحمراء لعلي عليه السلام حينما سمعنا أن معاوية أمر بتسييرهم إلى الشام، وسفّرهم زياد إلى البصرة فشتتوا جمعهم وأضعفوا قوتهم لولائهم المعروف لعلي بن أبي طالب عليه السلام وهذا ما نعتقده من أن الحمراء صاروا في السبع الأول بدلاً من السبع السادس في أيام سعد بن أبي وقاص فضلاً عن ولاء همدان وحمير.

أما السبع الثاني:

فاستبدل بـ ((مذحج والأشعر وطي)) وهم أهل ولاء معروف لعلي عليه السلام بدلاً من قضاعة وبجيلة وغسان وخثعم وكندة وحضرموت والأزد.

الثالث: استبدل ((مذحج والأشعر وطي)) بـ ((قيس وعيسى وذبيان وعبد القيس)) بعد أن قرّب إليه مذحج ومن معها إلى القسم الثاني.

الرابع: استبدل تميم ورباب بـ ((كندة وحضرموت وقضاعة ومهرة)) حيث جعل تميم ورباب في السابع.

الخامس: استبدل بني أسد ومن معهم بالأزد ومن والاها وأخر بني أسد إلى السابع.

---

١ - البلاذري: فتوح البلدان: ٢٧٩، دار الكتب العلمية، بيروت.

السادس: جعل بكر وتغلب وربيعة في السادس بعد أن كانوا في الخامس.

أما السابع: فجعلها لقريش وكنانة وغيرهما حيث كانت هذه ((سناد العامل في الكوفة من زمن سعد إلى العهد الأموي وهم المعروفون بأهل العالية)).[1]

وإذا تأملنا في هذه التشكيلة العسكرية التي رتبها الإمام علي عليه السلام وجدنا أنها متوثبة لحروبٍ ثلاث هي صفين والجمل والنهروان ولا بد للإمام من ان يُحكم سيطرته ويعيد تشكيلات الجيوش التي كانت مرتبة على أساس الولاءات السياسية والفكرية كما قدمنا، وإذا استعرضنا قيادات الألوية التي رتبها الإمام عليه السلام علمنا من قادتها مدى ولاءاتها العلوية.

قال الدينوري في الأخبار الطوال: ثم سار بالناس، فلما دنا من البصرة كتّبَ الكتائب، وعقد الألوية والرايات، وجعلها سبع رايات، عقد لحمير وهمدان راية وولى عليهم سعيد بن قيس الهمداني وعقد لمذحج والأشعريين راية وولى عليهم زياد بن النضر الحارثي ثم عقد لطي راية وولى عليهم عدي بن حاتم، وعقد لقيس وعيسى وذبيان راية وولى عليهم سعد بن مسعود الثقفي عم المختار بن أبي عبيد، وعقد لكندة وحضرموت وقضاعة ومهرة راية وولى عليهم حجر بن عدي الكندي، وعقد للأزد وبُجيله وخثعم وخزاعة راية وولى عليهم مخنف بن سُليم الأزدي، وعقد لبكر وتغلب وأفناء ربيعة راية وولى عليهم محدوج

---

١ - تاريخ الكوفة: ١٦٢.

الذهلي، وعقد لسائر قريش والأنصار وغيرهم من أهل الحجاز راية وولى عليهم عبد الله بن عباس، فشهد هؤلاء الجمل وصفين والنهروان وهم أسباع كذلك. [١]

أرباع (ابن زياد) الكوفية:

هذه هي الولاءات - على ما نحسب - موزعة على أساس التشكيلات العسكرية، ولعل الذي يساعدنا في هذا الرأي هو ماذهب إليه لامانس من أن زياداً ألغى التشكيلات السباعية وجعلها أرباعاً كما يذكر ماسنيون حيث قال: في سنة ٥٠ أي في إمارة زياد ابن أبيه صار تكتل الأقسام العسكرية في الكوفة على غرار ما كان بالبصرة حيث أصبحت الأسباع أربعة مناطق الأرباع وذلك بعد ضم قسمين من الستة الأولى:

الربع الأول: أهل العالية.

الربع الثاني: تميم وهمدان.

الربع الثالث: ربيعة (بكر) وكندة.

الربع الرابع: مذحج وأسد.

ومن رأي لامانس:

إن هدم النظام القبلي العسكري السابق من قبل زياد وتبديله ربما كان من اجل الربع الثاني حيث همدان القبيلة العظيمة الخطيرة ذات

---

١ - الدينوري: الأخبار الطوال: ١٤٦.

الشوكة والقوة التي كانت دوماً معادية ومخاصمة للولاة والأمراء لأنها كانت شديدة التشيع، فأكره زياد الهمدانيين الشيعة بأن يخضعوا للقائد العسكري الذي كان يرأس قبيلة تميم التي كانت همدان تبغضها منذ سنة ٣٧هـ، ولكن هذا غير صحيح والتبديل جرى للربع الثاني الذين كانوا قد عقدوا حلفاً شهيراً مهما والذي سبب حدوث عصيان في البصرة آنذاك، وبقي هذا النظام يُعمل بهِ حتى زال شان الكوفة وانحطاطها الذي تم في أوائل القرن الرابع الهجري.[1]

تصويب رأي لامانس:

ولا حاجة لتخطئة رأي لامانس، فإن الذي أقدم عليه زياد ابن أبيه هو إذلال همدان بإمرة تميم وقد حدث هذا إلا إن همدان – على الظاهر- استجلبت رضا تميم واستمالتها للتشيع بعد ذلك حتى أثمر هذا التعاون فيما بين القبيلتين إلى حدوث عصيان في البصرة كان نتيجة هذا التحالف الثنائي بين همدان خالصة الولاء في التشيع وبين تميم البعيدة في ولاءاتها آنذاك لآل علي عليه السلام.

ثم أذعنت ببركة همدان لتكون قوة شيعية تستجلب بها قوتهم، وتقفُ حائلا دون انتهاكات الأمويين الذين أوغلوا في كل شيء معاداةً لقيم الأمة ومنابذةً لمبادئ الشريعة.

---

١ - انظر: للشيخ عبد الواحد المظفر: خطط الكوفة ٦٠-٦١.

لياقة القيادة:

كان حديثنا فيما سبق عن تشعبات الكوفة في ولاءاتها السياسية، وتوجهاتها الاجتماعية، ومن اللازم لهذه التعدديات الفكرية والتوجهات المنهجية الأثر الكبير في الاستقرار وبسط الأمن، أو في تجييش الهمم واستجلاب الدواعي للثورة والتغيير، وإذا كانت الكوفة ((المتشعبة)) تشهدُ انقلابات في الآراء، وتغييرات في المواقف، فإن الذي يقدم على هكذا متغيرات اجتماعية ليقود توجهاتها المختلفة إلى توجهٍ واحد، ويحدد هدفها نحو قضيةٍ موحدة، يجمع كلمتها ويأتلف جماعاتها ويقودها إلى حيث يسعى إليه في تحقيق هدف من أخطر الأهداف وأشدها، وهي قيادة ثورة وتشكيل حكومة في وسط حكومة، حيث كان مسلم بن عقيل عليه السلام يسعى إلى ذلك، فمع وجود حكومة بني أمية وقوتها وتشكيلاتها فإن مسلم بن عقيل عليه السلام استطاع أن يخترق هذه الحواجز الرسمية ويعلن عن ثورته وهو لا يزال أمام خطر قيام الحكومة الحالية التي لم تنهَرْ بعد، بل - على اقل تقدير- فإن وجودها مع ضعفها يبعث الأمل في نفوس أنصارها للإنقضاض على الثورة وزعيهما.

جدارة القيادة:

لم يكن مسلم بن عقيل يحظى بهذا التقدير والاعتراف من الإمام الحسين عليه السلام والشهادة له بالوثاقة ((ثقتي من أهل بيتي)) دون أن يحظى بخصائص القيادة التي أفرزته عن الهاشميين ليتسلم مهام هذه السفارة الخطيرة، ولا يعني أنه لم يكن أحدٌ يستطيع عمل هذه المهمة كالعباس بن

علي وعلي الأكبر وغيرهما إلا أن لكل واحدٍ منهم مهمته، وتوزيع المهام بجدارة يكشف عن حكمة القيادة، وتوجهاتها في تشخيص الحالة وإمكانية إدارتها بما ينسجم ومتطلبات الأمور ودواعي المهمة، ومقتضيات النتائج الرشيدة، فكان اختيار الإمام الحسين عليه السلام لمسلم بن عقيل حكيما، كما هو اختياره لأبي الفضل العباس عليه السلام في قيادة الجيش نابعاً عن ضرورة المهمة ومقتضيات المواقف، وهكذا في علي الأكبر عليه السلام.

لقد كان مسلم بن عقيل قائداً من الطراز المتقدم إذ يتمتع بجملة خصائص أهلتهُ لهذه المهمة أهمها:

١ـ الخصيصة الأولى: فقاهة مسلم بن عقيل:

امتاز الشهيد مسلم بن عقيل بخاصية الفقاهة، فقد كان فقيهاً من فقهاء الهاشميين الذين نشأوا على يد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في الفقه، وكان بين الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام يتلقى فيوضات العلم، ويتزود بضرورات الفقه، يستجلي أسبار المسائل بما وسعه حتى صار فقيهاً عالماً، ولم تسمح له الظروف أن يبرز علمه وفقاهته، أو يبرز من بين أقرانه حتى يشتهر أمره ويذاع صيته، فأن وجود الإمام المعصوم يغطي على كل وجود، ولا ينبغي لمسلم عليه السلام ان يظهر فضله أو يذيع فقهه مع وجود أئمة أهل البيت عليهم السلام وهو دأب كل العلماء حتى اليوم، فإن التلميذ لا يفتي في حضرة أستاذه مراعاةً لحق الأستاذ، ومداراةً لشأنه ومقامه، ألا ترى أن أكثر مراجعنا وعلمائنا اليوم يُعرضون عن الفتوى طالما كان أستاذهم موجوداً، ويصمتون عن إبداء الرأي لئلا يعلو

صوتهم على صوته ويغلب رأيهم على رأيه، وهكذا هو دأب العلم أدّب أصحابه خير أدب، ووجههم أحسن توجيه، فما ظنك بمن تأدّب بأدب علي، وما بالك من تربى على يد سبطي رسول الله ﷺ إلا أن يكون انموذجا في الأدب وقدوةً في الرعاية.

لذا ((كان مسلم بن عقيل عالماً وفقيهاً))[1] وكان الاختيار الدقيق موفقاً في تكليف مسلم بن عقيل لهذه المهمة الشائكة، فالإمام الحسين عليه السلام يراعي حيثيات الثورة، وتوجهات الحركة الشعبية التي من شانها أن تسحق بعض القيم والمبادئ، فحالات العنف التي تصاحب الثورات الشعبية مما لابد منه، والتهاب المشاعر العامة تهدد بانفلاتٍ أمني وتعرض النظام العام إلى الخطر، ولابد للإمام الحسين عليه السلام أن يختار لهذه التداعيات رجلاً يراعي جانب الحرمة في تعاملاته مع الإحداث لئلا يحدث أي خرقٍ في حركة الثوار، ولا بد للفقيه أن يراعي حدود الحرمة ودواعي الامتثال الحكمي، ومجانبة المخالفة الشرعية، ولا يقوم بذلك إلا المتفقه البصير، المتمرس في مزاولة أحكام الحلال والحرام.

وبالفعل فأن صفة الفقاهة المتوفر عليها مسلم بن عقيل عليه السلام أعانته في قيادة الثورة بما يضمن عدم وجود أي خرق شرعي أو أخلاقي لدى الثوار، وكانت لهذه التعدديات الكوفية شأنها في اختلاق أية خروقات تساعد على تعطيل دور القائد أو تفشّل مهمته فضلاً عن وجود تيارات أموية متربصة بالثورة والثوار.

إذن فقاهة مسلم (عليه السلام) تثبت في أمور:

---

١ - الشيخ محمد حرز الدين: مراقد المعارف ٢: ٣١١.

أولا: معرفته بالإمامة والإمام وتشخيص تكليفه ومعرفة واجباته الشرعية وما يترتب على ذلك وهذا لا يجوزه إلا فقيه متفقه.

ثانيا: إتباع آليات الفقاهة التي جنبت ثورته أي انحراف مع كون هذه الثورة من الثورات الشعبية الهائجة والمتقبلة على الأنظمة السابقة المناوئة.

٢ ـ الخصيصة الثانية: علمهُ بالأنساب:

تُعدْ هذه الخصيصة من أهم مقتضيات نجاح القيادة في مجتمعٍ متغير مختلفٍ في انتماءاتهِ القبائلية المتشعبة والتي قدمنا صورة منها تحت عنوان ((الكوفة المتشعبة)) وحرصنا في سردِ استكشافي عن التشعبات القبائلية التي أدخلت الكوفة في صراعات ((غير معلنة)) أي إن التنافس بين مكوناتها يصلُ إلى ذروتهِ خصوصاً وأن ولاءاتها السياسية موزعة بين أمويةٍ إلى علويةٍ، حتى خارجية، وانتماءاتها متفرقة النزعة والولاء، وستُحدث هذه الظاهرة اختلالاً في المعادلات الاجتماعية بشكلٍ يهدد الأمن العام الذي يحرص القائد على استقراره وأخذ زمام المبادرة فيه.

هذا التنوع القبائلي بحاجة إلى أمرين:

احدهما: المعرفة بأنساب العرب وقبائلها.

ثانيها: الاطلاع على أخبار العرب وأيامها.

أما الأول: فأن الأنساب تعدُ شبكة العلاقات العامة التي يُدار من خلالها المكون الاجتماعي بجميع مفاصله وتوجهاته وقد توفرت هذه القابلية لدى مسلم بن عقيل عليه السلام الذي عرف الأنساب وخبرَ علاقتها،

وتعامل معها تعاملاً متقناً ابعد برنامجه السياسي عن الوقوع في اختلالاتٍ تتلكأ بسببها ثورته.

الوراثة العتيدة:

اتصفت قيادة مسلم بن عقيل بحنكةٍ سياسيةٍ عجيبة كان أبرزها التعامل مع أطياف المكون الكوفي على أساسٍ معرفة الأنساب التي ورثها من أبيه عقيل بن أبي طالب الذي اشتهر عنه علمه بأنساب العرب وأخبارها، وقد شهد له الإمام جعفر الصادق عليه السلام بقوله (**(كان عقيل من أنسب الناس)**)[1].

فقد كان ((عقيل بن أبي طالب عالماً بأنساب قريش وأيامهم، وعالماً بمفاخرهم وعيوبهم ومثالبهم، وكانت له طنفسة تطرح في المسجد يصلي عليها، ويجتمع إليه الناس في علم النسب وأيام العرب فيستفيدون منه، ومن تلامذته أبو صالح الذي أخذ عنه أبو النضر محمد بن السائب الكلبي وأستاذه في الأنساب)) [2].

قال الذهبي: وكان – أي عقيلاً – بساماً مزاحاً علامة بالنسب وأيام العرب[3].

وقال في أسد الغابة: ((كانت له طنفسة تُطرح له في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ويجتمع الناس إليه في علم النسب وأيام العرب. وكان يكثر ذكر

---

١ - المجلسي: بحار الأنوار ٤٢/ ١٢٢.

٢ - الشيخ علي احمد المباني، عقيل بن أبي طالب: ٣٠مركز بحوث.

٣ - سير أعلام النبلاء ٣/٩٩.

مثالب قريش فعادوه لذلك، وقالوا فيه بالباطل ونسبوه إلى الحمق، واختلقوا عليه أحاديث مزورة))[1].

فعقيل بن أبي طالب كان من نسابة العرب ومؤرخيها المطلعين على مساوئ العرب ومثالبها ومن أجل ذلك قيل فيه من الأخبار ما لا يمكن أن يتناسب وشأنه.

هذه الوراثة كانت لولده مسلم، الذي أدار المجتمع الكوفي بخبرته في أيام العرب وأخبارها، وأنساب القبائل وأحوالها، وهذه الخصيصة يستطيع من خلالها القائد أن يُحسن التعامل مع هكذا تنوع اجتماعي مائج بالتوجهات والرؤى، ويُروّض من التوترات التي تخلقها الطبيعة القبائلية، كما فعل رسول الله ﷺ في وأد الفتنه بين الأنصار والخزرجيين، والأنصار والأوسيين الذين طحنتهم سني الصراع القبائلي العنيف فآخى بينهما وأنستْ هجرته الكريمة هذا العنف القبائلي بفضل حكمته ﷺ وحسن إدارته.

وهكذا هو مسلم اليوم في الكوفة القبائلية المتشنجة بقبائليتها، المنتفخة بعقدة التفاخر والانتساب إلى القبيلة، ويروّضُ هذا الزهو القبائلي، ويُسكن فورة ((العنف المنظّم)) وأقصد ((بالعنف المنظّم)) هو العنف المقترن بقانون التسالم العشائري كنزاعات الثأر، وتوجسات السلطنة العشائرية على غيرها من القبائل المجاورة أو حتى البعيدة كذلك.

وبهذا استقطب مسلم بن عقيل القبائل الكوفية، بل أستقطب

---

١ - أسد الغابة ٤:٦٢.

نزاعاتها وتجاذباتها السياسية، ونجح في خلق مجتمع متآخٍ على غرار المجتمع المدني الذي أسسه النبي ﷺ.

٣ ـ الخصيصة الثالثة: الشجاعة:

توفرت لدى مسلم بن عقيل شجاعةً منقطعة النظير،((ولقد كان من قوته أنه يأخذ الرجل بيده فيرمي به فوق البيت))[١]، ولا استبعاد في هذه الصورة، فان بيوت الكوفة يومذاك كانت منخفضة ولعلها لا تتجاوز ارتفاع ثلاثة أمتار، فالكوفيون خرجوا تواً من حريقٍ هائل ألتهم بيوت القصب وجريد النخل، وأتى على آخرها ((عند ذاك آمر الخليفة -عمر بن الخطاب- ببناء بيوت الآجر المتواضعة، وأن لا يزيد أحدهم على ثلاثة أبيات ولا يتطاولوا في البناء))[٢] ونحن نفسر عدم التطاول أي لا يزيد ارتفاع الواحد منها على أكثر من ثلاثة أمتار وهو الارتفاع الطبيعي للبيوت المتواضعة أو دون ذلك بقليل.

فأخذ الرجل والرمي به فوق سطح الدار امرٌ وارد بما يتناسب وقوة مسلم الجسدية التي عبّر عنها محمد بن الأشعث حينما لامه أبن زياد في طلب المدد من القوة والرجال لمواجهة مسلم بن عقيل حيث تكبدت القوات الأولى خسائر كبيرة فطلب إرسال الزيادة من القوات فلما لامه أبن زياد أرسل ابن الأشعث إلى ابن زياد قائلا: ((يا ابن زياد، أتظن انك بعثتني إلى بقال من بقاقيل الكوفة، أو إلى جرمقاني من جرامقة

---

١ - الدربندي: إكسير العبادات في أسرار الشهادات ٢:٧٧، البحار ٤٤: ٣٥٤.

٢ - أنصار الحسين الثورة والثوار: السيد محمد علي الحلو: ٣٠.

الحيرة؟ أو لم تعلم أنك بعثتني إلى أسد ضرغام، وسيف حسام في كف بطل همام، من آل خير الأنام))[1]، وهي قراءة صحيحة لشخصية مسلم بن عقيل القتالية، ومعلوم أن هذه الأصالة العلوية التي ورثها من علي بن أبي طالب عمه ذلك المعروف بإقدامه والمشهور بشجاعته، سجّلت انطباعاً مهماً في نفوس الكوفيين، فهم على الرغم من خذلانهم له، إلا أن انطباعاً خطيراً احتفر في ذاكرة الكوفيين وتعمق في مكنون نفوسهم، وهي: إذا كان رجلاً من آل علي يفتك بهم هذا الفتك، ويستعمل فيهم ذلك البطش فكيف بقادتهم كالحسين بن علي وكأبي الفضل العباس عليه السلام وإذا كانت مهمة مسلم عليه السلام هي السفارة وحدها دون القتال، وقد أوغل في قواتهم وبدد جموعهم فكيف من كانت مهمته القتال واستعداده للحرب؟!!

الجيش الكوفي.. الهزيمة النفسية:

هذه تساؤلات باتت تعيش في ذهنية الجيش الكوفي المجهّز لمواجهة الحسين عليه السلام وأصحابه، وأن الهزيمة بدأت تنخر دواخل المحاربين الكوفيين المنضمين لجيش عمر بن سعد الذي استعد للخروج إلى الري وكان جاهزاً للقتال فتجهز لمهمة المواجهة.

وإذا كانت انطباعات الجيش الكوفي المهزومة من شخصٍ واحد مسلم بن عقيل فكيف بانطباعاتهم حيال الجيش الحسيني الزاحف؟!!

من المؤكد أن ساعدت هذه الصفة – صفة الشجاعة – على انكسار

١ - الدربندي: أسرار الشهادة ٢: ٧٧.

الجيش الكوفي قبل المواجهة فكيف بالحرب وقد تقدمها الحسين بن علي عليه السلام الذي عرفت شجاعته في مواضع صفين، وجولات النهروان، وأيام الجمل ذات البأس الشديد؟!

إن شجاعة مسلم بن عقيل وثباته يصفها أبن زياد بقوله لمحمد بن الأشعث:

((سبحان الله أبا عبد الرحمن، بعثناك إلى رجلٍ واحدٍ لتأتينا به، فثلم في أصحابك ثلمةً عظيمةً فكيف إذا أرسلناك إلى غيره؟))[1].

هذه الهواجس المنهزمة التي أولى بها أبن زياد وجواب أبن الأشعث – الذي قراناه قبل قليل – يستبطنُ انهزاميةً غير مسبوقة مهدت لانكسار الجيش الكوفي قبل وصوله كربلاء، لولا العدد الهائل الذي أبداه الجيش الكوفي فكان ثباتهم هو تواكل الواحد على الآخر في الأقدام على الحرب.

وبهذا فقد حقق اختيار الإمام الحسين عليه السلام لمسلم بن عقيل عاملاً مهماً في إضعاف الجيش الكوفي والتمهيد لهزيمته.

٤ - الخصيصة الرابعة: ولاؤه المطلق للإمام:

استطاع مسلم بن عقيل أن ينجز مهمته بأحسن ما يمكن انجازه دون تعثرٍ أو تردد، ولعل دواعي النجاح التي حالفت مسلم عليه السلام في مهمته هو تسليمه المطلق للإمام الحسين عليه السلام والتعامل معه على انه الإمام المفترض الطاعة دون أن يعترض على قراره الذي اختار فيه مسلم لتحمل

---

١ - الخوارزمي، مقتل ١: ٢٩.

المسؤولية، ولم يخطر ببال مسلم عليه السلام أن يتساءل من الحسين في إمكانية ضمان أنجاح المهمة مع اللغط الذي تثيره توقعات المراقبين للشأن لكوفي عن إنخذال المجمع الكوفي وتراجعه عن موقفه، وهل بالإمكان معالجة الموقف دون إرساله إلى الكوفة لأخذ البيعة وهل أن مهمته ستوفق والحال الكوفي في تقلباتٍ يتخوف منها الجميع؟ هذه التساؤلات يمكن أن يثيرها أي مقاتلٍ أو مبعوث يسعى لانجاز المهمة، إلا إننا لم نجد لمثل هذه الاعتبارات صدى في حركة مسلم عليه السلام بل كانت حركته منتظمة باتجاه تنفيذ أمر الإمام الحسين عليه السلام.

عاصفة الاعتراضات وصمود الإمام الحسين عليه السلام:

ولم يكن مسلم بن عقيل بعيداً عن أجواء الاعتراضات التي أثيرت في وجه حركة الإمام الحسين عليه السلام، فقد واجهت حركته اعتراضات عدة تزعمها عبد الله بن عباس الناصح له، ومحمد بن الحنفية المشفق عليه، وعمر الأطرف الذي يستذكر مواقف الكوفيين مع أبيه وأخيه، والسيدة أم سلمة التي تلقت أنباء مصيره عن النبي صلى الله عليه وآله وغير هؤلاء كثير أمثال عبد الله بن مطيع العدوي والمسور بن مخرمة وعمرو بن عبد الرحمن المخزومي وغيرهم كثير.

فضلاً عمن ندد بهذه الحركة وأنها غير مدروسة كما أعترض على ذلك عبد الله بن عمر وأبو واقد الليثي وعمرة بنت عبد الرحمن الأنصاري وعبد الله بن الزبير الذي حسب لرحيل الإمام حساباً ولقتله حسابات أخرى تمهد له الطريق في تحقيق أهدافه وغاياته.

وكانت أجوبة الإمام الحسين عليه السلام لهم تنسجمُ وقابليات هؤلاء، أو حسبما تقتضي الحاجة وتستدعيه الظروف، فمثلاً في جواب الإمام عليه السلام لعبد الله بن عمر حين أشار عليه بالطاعة والانقياد ليزيد.. قال له عليه السلام:

((يا عبد الله، إن من هوان هذه الدنيا على الله، أن رأس يحيى بن زكريا عليه السلام أهدى إلى بغيٍ من بغايا بني إسرائيل، فامتلأ به سروراً، ولم يعجل الله عليهم بالانتقام، وعاشوا في الدنيا مغتبطين.

ألم تعلم يا عبد الله إن بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبياً ثم يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون كأنهم لم يفعلوا شيئاً، ولم يعجل الله عليهم بانتقام، بل أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر.

ثم قال: **يا عبد الله اتق الله ولا تدعنّ نصرتي، ولا تركنن إلى الدنيا لأنها دار لا يدوم فيها نعيم، ولا يبقى أحد من شرها سليم، متواترةً محنها، متكاثرةً فتنها، أعظم الناس فيها بلاءً الأنبياء، ثم الأئمة الأمناء، ثم المؤمنون، ثم الأمثل فالأمثل..))**[1].

وكانت خطبة الإمام عليه السلام قد أوضحت ما تؤول إليه أحداث الأيام الدامية التي تنتظر ركب الحسين الخارج إلى العراق قال في خطبته:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وما شاء الله ولا قوة إلا بالله وصلى الله على رسوله.

خُطّ الموتُ على ولد آدم مخطّ القلادةِ على جيد الفتاة، وما أولهني

---

١ - الطريحي: المنتخب: ٣٨٩.

إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف؛ وخير لي مصرعٌ أنا لاقيه كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلا فيملأن مني اكراشاً جوفا، وأجربةً سُغباً.

لا محيص عن يوم خُطّ بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين لن تشُذّ عن رسول الله لحمتهُ، بل هي مجموعة له في حظيرة القدس، تقر بهم عينه، وينجز بهم وعده ألا ومن كان فينا باذلاً مهجتهُ، موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فاني راحلٌ مصبحاً أن شاء الله تعالى[1].

والخطبة مع عظمتها البلاغية ورمزيتها الرائعة التي تأخذ بالنفوس إلى مساقاتٍ من التطلع إلى غيبٍ مقروء بين ثنايا النعي الذي أجاده الإمام وهو في مجمعٍ من المضحين الفادين مهجهم من أهل بيته وأنصاره فأنه عليه السلام يبثُ رسائله إلى الجميع حول المصير الذي ينتظره وأهل بيته وما تنجم عنه هذه المعركة القادمة.

إننا لسنا في صدد تحليل فصول هذه الرائعة لكننا في صدد التذكير بأن هذه الخطبة وأمثالها من إجابات الإمام عليه السلام لناصحيه بعدم الخروج إلى العراق وهي تصل إلى مسلم بن عقيل ويطّلع على مضامينها وما تؤول إليه من نتائج تفضي إلى تصفية جميع المشاركين وسيكون في طليعتهم مسلم بن عقيل رائد الشهادة وسفير الثورة سيما وإن الحسين عليه السلام عند استدعائه وتكليفه بالمهمة ذكّره بحتمية شهادته وانه واردٌ على الموت لا محالة حيث يقول له: ((**وأرجوا أن أكون أنا و أنت في درجة**

---

١ - المقرم، مقتل الحسين: ١٩٣.

الشهداء)) ومجرد هذا الاستعراض لفصول الملحمة والتي سيكون رائدها مسلم بن عقيل توجب حدوث التردد أو الانكماش حين معرفة المصير إلى الموت، إلا أننا لم نجد أدنى تغيرٍ في موقف مسلم بن عقيل أو ترددٍ في القيام بهذه الملحمة أو توقفٍ في أداء سفارته بل كان عازماً على إنجاح الثورة المرهون بنجاح مهمته.

لقد كان مسلم بن عقيل في كل هذا رائده التسليم لمقام أهل البيت عليهم السلام والإذعان إلى أحقيتهم والمعرفة بشأنهم فكان عليه السلام مصداقاً لقوله تعالى ((**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**))[1] وكان كذلك مصداقاً لما ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في التسليم بأمرهم فعن غير واحد عليه السلام أنه قال: **لا يكون العبد مؤمناً حتى يعرف الله ورسوله والأئمة كلهم وإمام زمانه ويردّ إليه ويسلم له**[2].. وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: **أتدري بمَ أُمروا؟ أُمروا بمعرفتنا والرد إلينا والتسليم لنا**[3]، وعن الإمام الرضا عليه السلام قال: **أن العبادة على سبعين وجهاً فتسعة وستين منها في الرضا والتسليم لله عز وجل ولرسوله ولأولي الأمر عليهم السلام**[4]. ومعنى هذا فأن مسلم بن عقيل كان أطروحة أهل البيت في التسليم والإذعان لهم، وكان الأنموذج الرائع في المعرفة بهم والانصياع لأمرهم.

---

١ - النساء: ٦٥.

٢ - الكافي ١: ١٣٨، باب معرفة الإمام ج١.

٣ - بصائر الدرجات ٥/٥.

٤ - البحار ٢: ٢١٢ ج ١٢٢.

مدارس الوضع الأموي بالمرصاد:

ولم تسلم هذه المهمة من طعون الرواة وتدجيل البعض الذين ارتبطت مصائرهم بالنظام المطارد المهزوم حيث وضعوا رواية الرسالة التي أرسلها مسلم بن عقيل لاستعفائه من هذه المهمة التي تطيّر من حادثةِ موت الدليلين وكونه غير مستعدٍ لإتمامها وكانت الرسالة هكذا: ((أما بعد، فاني أقبلت من المدينة معي دليلان لي فجارا عن الطريق وضلاّ وأشتد علينا العطش فلم يلبثا أن ماتا وأقبلنا حتى انتهينا إلى الماء فلم ننج إلا بحشاشة أنفسنا وذلك الماء بمكان يدعى المضيق من بطن الخب، وقد تطيرت من وجهي هذا فان رأيت أعفيتني منه وبعثت غيري والسلام)).

فأجابه الحسين عليه السلام بهذا الجواب: **أما بعد، فقد خشيت أن لا يكون حملك على الكتاب اليّ في الاستعفاء من الوجه الذي وجهتك له إلا الجبن فامض لوجهك الذي وجهتك له، والسلام**[1].

ولا نريد الوقوف عند الرسالتين كونهما لا ترقيان إلى مستوى التأمل والتحقيق، لأن الانصاف حاكمٌ على بطلان ما ورد، فالرسالة لا تناسب القيادة المنتخبة والمعضدة بالمدح والثناء، وتوثيق مسلم من قبل الإمام الحسين عليه السلام، كان عن معرفةٍ دقيقةٍ لهذه الشخصية القيادية التي لا يهزمها شيء فكيف يهزمها تطيرٌ أو تشاؤم؟ ولم نقفْ على سيرة أنّ أحدهم تطّير من شيء أو تشاءَم لحدثٍ ما.

---

١ - سفير الحسين مسلم بن عقيل (ع): ٥٢.

التشاؤم والتطير خلاف سيرة أهل البيت عليهم السلام:

مثّل مسلم بن عقيل الفكر المتسامي الذي يرفض كل أنواع التشاؤم والتطّير، والنهي الوارد عن التشاؤم لإحساس الإنسان بالضعف وانهيار معنوياته بل ذلك يتعارض مع صفة التوكل التي عُرف بها أهل البيت عليهم السلام وحُسن الظن بالله تعالى كانت الظاهرة الغالبة على أقوالهم وأفعالهم، وهناك العديد من لروايات التي تؤكد على حسن الظن بالله تعالى والتوكل عليه كما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام قوله: **أحسن الظن بالله، فان الله عز وجل يقول: أنا عند ظن عبدي المؤمن بي، إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً**[1].

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: **لا يؤمن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله، فإن حسن الظن بالله ثمن الجنة**[2]، وعنه صلى الله عليه وآله: **إن حسن الظن بالله من حسن العبادة**[3].

ولم تكن هذه الصفة وحدها نالت من تراث أهل البيت عليهم السلام الشيء الكثير بل ورد عنهم عليهم السلام في رفض التطّير والتشاؤم ما يُعدُ منهجاً من مناهجهم الإنسانية الرائعة، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: **لا عدوى ولا طيرة ولا هامة**[4]. وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: **الطيرة على ما جعلها إن هوّنتها**

---

١ - الكافي ٢: ٥٨ ج٣.

٢ - ينابيع الحكمة ٢: ١٢٦.

٣ - المستدرك ١١١ ص ٢٥٢ ج ١٣.

تهوّنت، وان شدّدتها تشددت، وان لم تجعلها شيئاً لم تكن شيئاً[1].

بل شدد النبي صلى الله عليه وآله في النهي عن التطّير في حديث لعلي إنه قال:... **وأما الطيرة فان فيها سوء الظن بالله وتوقع البلاء..**[2]

الوراثة العلوية:

إذا كان الأمر كذلك فكيف يكون مسلم بن عقيل بعيداً عن هذه الروح التفاؤلية التي ورثها عن آبائه وتربى عليها وهو في كنف الإمام أمير المؤمنين والإمام الحسن والإمام لحسين عليه السلام، وهل يتناسب ذلك مع من وعى على هذه الصفات العظيمة أن يتخلف عنها وينصاع إلى التطّير؟!

وهل من كان الإمام المعصوم يعينهُ في أنجاز مهمته تتوقف على حركته الإلهية أن يذعن إلى حديث النفس ويرضخ تحت تأثيرات الوسوسة والتشاؤم ومصير نهضةِ إلهية يحققها الإمام على أساس اختيار رجلٍ مترددٍ في المضي بمهمته، متطايرٌ لمجرد موت دليلين كانا معه؟

ان دواعي التشكيك بهذا الحدث تؤيده أمور:

١- من المستبعد أن يظل دليلان طريقاً اعتادا عليه ويبتعدان عنه وكانت دلالة الطريق مسألة متعارفة في ذلك الوقت، والدليل خبيرٌ في شؤون الطريق المليء بالتحديات والصعاب، ومن المستبعد إن يكون

---

١ - البحار ٥٨: ٣٢٢.

٢ - البحار ٦٠: ١٥٠.

الدليلان المختاران لهذه المهمة العسكرية الخطيرة ممن تضيع عليهما معالم الطريق، فمن المؤكد أن يكون اختيار هذين الدليلين من الخبرة والكفاءة المتميزة لخطورة المهمة ومشاقها.

٢- والمثير أن مسلم بن عقيل لم يصاحب دليلاً واحداً - وهي عادة المسافرين- بل كانت تحسباته للطوارئ واردة ومتوقعة كونه صحب دليلين ولم يقتصر على دليل واحد، فإن ضلّ احدهما استعان برأي الآخر وهو أمرٌ وارد في دليل واحد إلا أنه مستبعد في اثنين.

٣- إن من الممكن أن يخون احد الدليلين ويوشي بمسلم بن عقيل ليسلّمه الى السلطات التي وضعت العيون والمراصد على حركة الداخل والخارج لمكة لتحسباتها فيما ستؤول إليه معارضة الإمام الحسين عليه السلام وبيعته ليزيد بن معاوية، ومن الممكن أن يكون أحد الدليلين يطمع في رضا السلطان وقربه فيخبر السلطان عن خروج مسلم أو يُرهقه الخوف فيؤدي به إلى تسليمه لبني أمية في حين مع وجود دليلين فيمكن أن يكشف احدهما خيانة الآخر لو حدثت.

٤- ومن الممكن استبعاد هذه الحادثة فمسلم بن عقيل لا يحتاج إلى أدلاء يوجهونه للطريق فإنه قد سلك الطريق يوم كان في الكوفة يعيش مع عمه أمير المؤمنين عليه السلام، والسالك للطريق مرة أو مرتين لا يحتاج بعد ذلك إلى دليل ليرشده على الطريق. وهذا ما نرجحه في اللاحق من الاحتمال.

٥- إن الأخبار تشير الى ان مسلماً لم يكن حين خروجه وحده، فان بعضا من مساعديه كانوا يرافقونه منهم قيس بن مُسهر الصيداوي

وعمارة بن عبد الله السلولي وعبد الرحمان بن عبد الله الارحبي ومع هؤلاء فلا حاجة بعد ذلك لدليل يرافقه، فعبد الرحمان بن عبد الله الأرحبي كوفي وهو احد من حمل الكتب الكوفية إلى الحسين عليه السلام، قال في تنقيح المقال: انه كان تابعياً شجاعاً مقداماً، وهو احد الأربعة الذين مضوا إلى مكة في طلب الحسين عليه السلام ومعهم نيف وخمسون من أهل الكوفة.[1]

وكذلك قيس بن مسهر الصيداوي، فهو رسول الحسين عليه السلام إلى اهل الكوفة وحامل جوابه عليه السلام الذي بعثه إلى مسلم بن عقيل وقال عنه صاحب التنقيح: ((كان رجلاً شريفاً في بني صيدا، شجاعاً مخلصاً في محبته أهل البيت عليهم السلام وهو ممن حمل مع نفرٍ نيفاً وخمسين صحيفة من جانب أهل الكوفة إلى الحسين عليه السلام حاثين فيها على الانتقال إليهم..))[2].

وكذا الحال في عمارة بن عبد الله السلولي الكوفي الذي جاء من الكوفة إلى مكة يتابع حركة الحسين عليه السلام ثم يرافق مسلم بن عقيل إلى الكوفة وقد عرف طريقها، وعرف شعابها فهل يحتاج بعد ذلك مسلم بن عقيل إلى دليلين ومعه من ذكرنا فضلاً عن غير من لم يذكر؟!

٦- إن الإمام الحسين عليه السلام أوصاه "بكتمان أمره" كما جاء في وصيته التي رواها الشيخ المفيد والسيد ابن طاووس بقولهما ((وأمره بالتقوى وكتمان أمره واللطف..)) وكتمان الأمر هذا لا يتناسب مع مصاحبة

---

١ - المقاني : تنقيح المقال ٢/ ١٤٥.

٢ - المجالس الحسينية للشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء:٨٢ إصدار مكتبة العتبة العباسية.

دليلين يطلعان على حاله ويوشيان – لعله – به أو إمكانية إشاعة أمره بين الناس وتناقل خبر خروجه بين العام والخاص وهذا ما يخالف سرية الموقف ومتطلبات الكتمان.

هذا من ناحية، ومن ناحيةٍ أخرى فأن التفاؤل الذي يحمله مسلم بن عقيل في وجهته هذه مبعثها حُسن الثقة التي أولاها الإمام المعصوم لقائد الحركة الحسينية المرتقبة والتي يترقبها مسلم على لسان النبي وأهل البيت عليهم السلام. فكيف يتراجع من كان هذا همهُ – وهو إنجاح مهمة الثورة – وقد علم أن ذلك لا تقبله أعراف البطولة والشجاعة التي اتسم بها مسلم بن عقيل، فضلاً عن كون اختياره من قبل الإمام عليه السلام مبعث فخر إذ تميز من دون أقرانه بحُسن ظن الإمام به فكيف يتردد بعد ذلك ليكون هذا الأمر عاراً لا يحتمله أمثال مسلم بن عقيل؟!.

إذن فليس من شأن مسلم أن يتردد في المسير- لو حدث مثل هذا الأمر – فضلاً عن كون ملابسات القضية لا تحتمل التصديق والقبول.

وقفة مع العلامة المظفر:

ومن الغريب قبول مثل هذه الأخبار الموضوعة، والأغرب من ذلك تبرير حدوثها وكونها من دواعي المدح والثناء لموقف مسلم وشخصيته القتالية... قال الشيخ عبد الواحد المظفر (رحمه الله) بعد ذكره للرسالتين قال: ((ولا عساك تجد بعض من لا خبرة له ولا فقه ولا تفكير إذا قرأ ما كتبناه عن الشيخ المفيد والطبري، يرى من الوصمة نعت هذا البطل بالجبن ويعتبرها شهادة من الحسين عليه السلام مقبولة، وهذا وأمثاله

يولده الجهل، وضعف الملكة ونقص العقل وعدم الإحاطة بمحاورات النبلاء، أن مثل هذا ليصدر من الأعيان والكبراء لأجل إثارة الحماس وبث روح النشاط في أمرائهم وقوادهم ولتهييج الشعور الحفاظي وإشعال نار الحفيظة في صدورهم ليقدموا إقدام الناشط لخوض الأهوال غير مبالٍ بالشدائد المرهوبة)).

ثم ينظَر لهذه الحادثة بما قاله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لهاشم المرقال في يوم صفين حيث قال: ((قد كان هاشم المرقال (رحمة الله عليه) أشجع العرب، وقد قال له أمير المؤمنين عليه السلام يوم صفين وعمار بن ياسر ورجل من بكر بن وائل: **يا هاشم أخشى أن تكون اعوراً وجباناً..** فيقول لأمير المؤمنين عليه السلام: ((والله يا أمير المؤمنين لألفن بين جماجم العرب لف رجل ينوي الآخرة ولا يريد الرجوع إلى الدنيا))[1].

وأنى لأجل العلامة الشيخ عبد الواحد المظفر من ذلك، فقد عرفتُ هذا العلامة بدقته وحُسن تحقيقاته، لكني لا أدري ما الذي دعى العلامة (رضوان الله عليه) إلى ان يُسلّم لهاتين الرسالتين ويحاول تصحيح ما ورد فيها؟ ثم هو ينظّر بين موقفين في غاية الاختلاف وهذه مفارقات التحقيق والتدقيق التي تودي ببعض الفحول إلى مخالفة الواقع.

٥ـ الخصيصة الخامسة: إيمانه المطلق بنهج أهل البيت عليهم السلام:

من المسائل الخطيرة التي تواجه حركات أهل البيت عليهم السلام في نهضتهم هي حالة مراعاة المبادئ والقيم التي عزموا على تحقيقها وهنا لم تُراع

---

١ - للعلامة الشيخ عبد الواحد المظفر: سفير الحسين مسلم بن عقيل (ع):٥٣.

الحسابات المادية التي تنتج من خلال حركاتهم النهضوية هذه بل مراعاة الحفاظ على المبادئ هو الهدف الأسمى الذي يحرصون على تحقيقه ومراعاته، بغض النظر عن النتائج حتى لو كلف ذلك حياتهم ودماءهم الغالية.

ففي غضون حركة مسلم بن عقيل عليه السلام ظهرت مفارقات تُحتّم على الباحث الوقوف عندها ومراعاة فلسفتها وحقيقتها، ففي خبر محاولة اغتيال عبيد الله بن زياد تشخص لنا حالة غريبة جداً وهو رفض مسلم بن عقيل عليه السلام قتل عبيد الله بن زياد بهذه الطريقة، ومتابعة الخبر من بدايته سيُعطي لنا تصوراً خاصاً بملابسات الموقف.

((ولما بلغ مسلم بن عقيل خطبة أبن زياد ووعيده وظهر له حال الناس خاف إن يؤخذ غيلةً فخرج من دار المختار بعد العتمة إلى دار هانئ بن عروة المذحجي وكان شديد التشيع، ومن أشراف الكوفة وقرائها، وشيخ مراد وزعيمها يركب في أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل، فإذا تلاها أحلافها من كندة ركب في ثلاثين ألفاً، وكان من خواص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، حضر حروبه الثلاثة، وأدرك النبي صلى الله عليه وآله، وتشرف بصحبته وكان له يوم قتله بضع وتسعون سنة.

ونزل مع مسلم بن عقيل عليه السلام شريك بن عبد الله الأعور ألحارثي الهمداني البصري وكان من كبار شيعة أمير المؤمنين عليه السلام بالبصرة جليل القدر في أصحابنا، شهد صفين وقاتل مع عمار بن ياسر، ولشرفه وجاهه ولاه عبيد الله بن زياد من قبل معاوية كرمان، وكانت له مواصلة وصحبة مع هانئ بن عروة رضي الله عنه فمرض مرضاً شديداً عاده فيه ابن زياد،

وقبل مجيئه قال شريك لمسلم عليه السلام: إن غايتك وغاية شيعتك هلاكه، فأقم في الخزانة حتى إذا اطمأن عندي أخرج إليه وأقتله، وأنا أكفيك أمره بالكوفة مع العافية))[1].

وبينما هم على هذا قيل الأمير على الباب، فدخل مسلم الخزانة ودخل عبيد الله على شريك، ولما استبطأ شريك خروج مسلم جعل يأخذ عمامته من على رأسه ويضعها على الأرض ثم يضعها على رأسه فعل ذلك مراراً، ونادى بصوت عال يسمع مسلماً عليه السلام:

ما تنظـرون بسلمــى لا تحيوهــا	حيوا سليمى وحيوا من يحيهـا
هل شربة عذبةٍ أسقى على ظمأً	ولو تلفتُ وكانت منيتي فيهــا
وإن تخشيت من سلمى مراقبـــة	فلست تأمن يوماً من دواهيها

ولم يزل يكرره وعينه رامقة إلى الخزانة، ثم صاح بصوت رفيع يسمع مسلماً عليه السلام: أسقونيها ولو كان فيها حتفي.

فالتفت عبيد الله إلى هانئ وقال: ابن عمك يخلط في علته، فقال هانئ ان شريكاً يهجر منذ وقع في علته وأنه ليتكلم بما لا يعلم.

فقال شريك لمسلم ما منعك منه؟ قال خلتان:

الأولى: حديث علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الأيمان قيد الفتك فلا يفتك مؤمن.

والثانية: امرأة هانئ فإنها تعلقت بي وأقسمت عليّ بالله إن لا أفعل هذا في دارها وبكت في وجهي.

فقال هانئ: يا ويلها قتلتني وقتلت نفسها والذي فرت منه وقعت فيه.

---

١ - سيد عبد الرزاق المقرم: مقتل الحسين (ع): ١٧٠-١٧١.

الحادثة برواية الذهبي:

إلا ان رواية الذهبي تصرح بان الأمر أوكل إلى مجموعة من المقاتلين لتنفيذ عملية الاغتيال والرواية هكذا: وقدم مع عبيد الله شريك الأعور - شيعي - فنزل على هانئ بن عروة فمرض فكان عبيد الله يعوده، فهيئوا لعبيد الله ثلاثين رجلاً ليقاتلوه فلم يتم ذلك..[1] ويأتي التفصيل في محله، وان كنا غير مقتنعين بالرواية لان ملابسات الحادث لا تشير إلى إمكانية اشتراك هذه المجموعة في الاغتيال ولم يستطيعوا التنفيذ وأن عبيد الله بن زياد أحس بالأمر فأفلتَ منهم، فالرواية لا يمكن الاعتماد عليها لمخالفتها لكثير من الوقائع أهمها:

١- سرية العمل الذي كان يتصف بها هانئ وشريك وغيرهما، فمن غير الممكن ان يكون العمل قد اطلعت عليه غير هذه المجموعة.

٢- من غير الممكن عدم سيطرة ثلاثين نفر على اغتيال شخص واحد وهو في قبضتهم وهذا لا يمكن تصوره على أساس مجريات الأحداث المناسبة لعملية الاغتيال.

٣- لم تتحدث الرواية عن دور مسلم بن عقيل وما هو موقفه من الحدث وما هو دوره بعد ذلك. إلى غير ذلك من الإشكاليات التي لا تصمد معها الرواية.

---

١ - الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣: ٢٥٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.

حيثيات محاولة الاغتيال:

هذه هي خلاصة قصة محاولة اغتيال عبد الله بن زياد، ولغرض الوقوف على حيثيات الحادثة ننوه إلى ما يلي:

١ ـ إن عبيد الله بن زياد حينما زار هانئ لم يكن معه من الحرس ما يؤمّن سلامته، بل لم يكن مع عبيد الله بن زياد إلا بعض الكوفيين المعدودين من ذوي المصالح والمنافع، وهم لا يشكلون قوةً يمكنها أن تقابل القوى الملتفة حول مسلم بن عقيل عليه السلام، أي أن الكوفة عسكرياً كانت ساقطة وفي قبضة مسلم بن عقيل عليه السلام.

٢ ـ كانت زوجة هانئ بن عروة رضي الله عنه وهي أم يحيى أخت عمرو بن الحجاج وهي التي منعت مسلم من تنفيذ العملية.

٣ ـ برر مسلم بن عقيل عليه السلام امتناعه عن قتل عبيد الله بن زياد بأنه غيرُ مستعدٍ لمزاولة الفتك مطلقاً مع أي إنسان ودليله حديث علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

مادة (فتك) في صميم الحدث:

ولا بد من الوقوف على أبعاد هذا الحديث الذي نجد مادة (فتك) تحتل مساحته الواسعة والتي على أساسها يدور موقف مسلم بن عقيل عليه السلام، فقد انطلق مسلم في حركته من مبادئ وقيم أئمة أهل البيت عليهم السلام والتي تستدعي الحفاظ على أولويات لعلها تتعارض مع كثير من الحسابات المادية التي تدور عليها أية حركةٍ عسكريةٍ تزحف على الكثير من القيم، أو اجتماعيةٍ تراعي الأعراف المغايرة للمبادئ، أو

اقتصادية تتعارض في حساباتها مع الكثير من الثوابت وهكذا هي الحركات الأخرى تتمرد على الأنماط السائدة أو تنقلبُ على القيم العامة. وحركة مسلم بن عقيل عليه السلام يعتريها هيجان العواطف الشعبية. وتزاحمها الرغبات العارمة، وتستدعيها الحالات القصوى في انبعاثها خارج ما هو مرسوم لها ومقننٌ لديها، ولم تكد هذه الثورة تنفلتُ عن خططها المرسومة، ولا تنبعث في مساراتها الموهومة، بل تدور في فلك المحذور، وتراعي حمى الثوابت التي انطلقت منها الثورة، والمبادئ التي اتكأت عليها الحركة..

إذن فالثورة الحسينية - الكوفية التي انطلق فيها مسلم بن عقيل عليه السلام تستعدي على كل التوجهات المادية وترفض ما تملي عليها حسابات الربح والخسران، فهي تراعي كمال الإنسان قبل نجاحاتها العسكرية، وتؤكد على بناء القيم التي انبعث من اجلها مسلم بن عقيل عليه السلام في مجتمعٍ غير متجانس الرؤى ولا متكافئ الأطوار.

المادة العصية في المعادلات:

إننا نقف عند مادة (فتك) في حديث مسلم عليه السلام الذي رواه عن النبي صلى الله عليه وآله:

وهي المادة (العصية) في فهمها والتعاطي معها، وهي في نفس الوقت عصية القبول على فهم مجتمع يحكمه منطق المادة. فقد ورد في باب فتك بمعنى قتل الرجل غِرةً، أي غرر به وفتك بالرجل فتكاً.. انتهز منه غِرةً فقتله أو جرحه، كما في صحاح الجوهري وغيره فراجع.

ولا يسعنا هنا إلا أن نذكر الأحاديث التي شددت على ذم الفتك وأنه الفاصل بين الإيمان والنفاق.

فعن أبي عبد الله عليه السلام: **أن الإسلام قّيد الفتك، قاله حين استأذنه رجلٌ لقتل رجل.**

قال الجزري فيه: الإيمان قيّد الفتك، أي الإيمان يمنع من الفتك كما يمنع القيد عن التصرف، والفتك أن يأتي الرجل صاحبه وهو غارّ غافل فيشدّ عليه فيقتله.

وعن أبي جعفر الجواد عليه السلام: **وإياك والفتك فإن الإسلام قد قيّد الفتك**[1].

وبهذا فان الفتك يشكّل مرحلة مهمة في تحديد معالم الإيمان ومقومات الإنسان الناضج الذي أخلص لقيمه ومثلهِ العليا، ومسلم بن عقيل عليه السلام الأنموذج الأمثل لتطبيق هذه العقيدةِ الكبرى والمُثلِ الإنسانية الرائعة بل الإسلامية العتيدة.

اللحظة الحاسمة.. اللحظة الخاسرة:

لقد توفرت لمسلم بن عقيل عليه السلام لحظة حاسمة في إحراز النصر وتعجيل الحسم لصالح حركته المباركة، وكان النجاح حليف مسلم عليه السلام وهو يقتلع أساس الفتنة من جذورها وذلك من خلال تصفية القيادة الأموية المتمثلة بعبيد الله بن زياد وقد عُرف عنه كل مثلبة لا يقف عندها اعتذار عاذر.

---

١ - انظر مستدركات سفينة البحار باب الفتك.

فقد تهيأت ظروف الانقضاض على هذه القيادة ومعها ستسقط كل محاولات المعارضة المسلحة لثورة الإمام الحسين عليه السلام وستكون الكوفة بعد ذلك خلية له دون أن ينافسه أحد، وستلحق الهزيمة بالكيان الأموي وسيخسر كل إمكانيات المناورة من اجل صد ثورة الإمام الحسين عليه السلام.

هذه الإمكانيات ستوفرها اللحظة الحاسمة لكنها الخاسرة بكل أبعادها الحسينية الثائرة، وبكل قيمها العلوية بل وبكل جدلياتها المحمدية التي طالما سمت على كل الحسابات المادية غير الجديرة أن تدخل في معادلات الثورة الحسينية التي أرادها الإمام الحسين عليه السلام نبراساً لكل جيل بغض النظر عن نتائجها وما تؤول إليه بعد ذلك.

إن تصور (اللحظة الحاسمة) وتنفيذها من قبل مسلم بن عقيل عليه السلام سينهي الأمر على أساس الحسابات المادية لصالح القضية الحسينية لكنها ستخسر هذه القضية بعدها الأخلاقي، وطموحاتها الخلاقة في بناء الإنسان، وتشييد القيم والمبادئ المهددة من قبل الأمويين وأمثالهم.

الأبعاد الأخلاقية للثورة:

فنجاح أية حركة ثورية لا تتم إلا بانتصار مبادئها الأخلاقية التي لأجلها قامت، وأئمة أهل البيت عليهم السلام لم يسعوا إلى تحقيق الهدف المادي والمراد العسكري في حركاتهم بل كانوا يسعون لترسيخ مبدأهم الرسالي الذي من اجله قدموا التضحيات، فمن خلال ما نستعرضه من صور ستتبين غاية مسلم بن عقيل عليه السلام في امتناعه من قتل عبيد الله بن زياد والفتك به وتحّمل مسؤولية إبقائه معارضاً خطيراً وعقبةً تعرقل تقدم

مسلم بن عقيل عليه السلام في ثورته وانجاز مهمته، وهذه الصور والمشاهدات ستكون المفسّرة لفلسفة مسلم بن عقيل في امتناعه عن اغتيال عبيد الله بن زياد، فمن هذه الصور:

الصورة الأولى: روى نصر بن مزاحم في سنده عن محمد بن المطلب قال: استعمل علي عليه السلام على مقدمته الأشتر بن الحارث النخعي، وسار عليٌ في خمسين ومائة ألف من أهل العراق، وقد خنست طائفةٌ من أصحاب علي عليه السلام، وسار معاوية في نحوٍ من ذلك من أهل الشام، فلما استتب لعلي أمره سار بأصحابه، فلما بلغ معاوية مسيره إليه سار بقضه وقضيضه نحو علي عليه السلام، واستعمل على مقدمته سفيان بن عمرو، وعلى ساقته أبن ارطاة العامري - يعني بُسراً- فساروا حتى توافوا جميعاً بقناصرين إلى جنب صفين، فأتى الأشتر صاحب مقدمة معاوية وقد سبقه إلى المعسكر على الماء، وكان الأشتر في أربعة آلاف من متبصري أهل العراق، فأزالوا أبا الأعور عن معسكره، وأقبل معاوية في جميع الفيلق بقضه وقضيضه، فلما رأى ذلك الأشتر انحاز إلى علي عليه السلام وغلب معاوية على الماء، وحال بين أهل العراق وأهله، وأقبل علي عليه السلام حتى أذا أراد المعسكر أذا القوم قد حالوا بينه وبين الماء.

ثم أن علياً عليه السلام طلب موضعاً لعسكره، وأمر الناس أن يضعوا أثقالهم وهم مائة ألف أو يزيدون فلما نزلوا تسّرع فوارس من فوارس علي عليه السلام على خيلهم إلى معاوية - وكانوا في ثلاثين ومائة - ولم ينزل بعد معاوية فناوشهم القتال واقتتلوا هوياً.

وعن عبد الله بن عوف بن الأحمر قال: لما قدمنا على معاوية وأهل

الشام بصفين وجدناهم نزلوا منزلاً اختاروه، مستوياً بساطاً واسعاً، وأخذوا الشريعة فهي في أيديهم، وقد صفّ أبو الأعور السلمي عليها الخيل والرجالة، وقدم المرامية وهم أصحاب الرماح والدرق، وعلى رؤوسهم البيض، وقد اجمعوا أن يمنعونا الماء، ففزعنا إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبرناه بذلك فدعا صعصعة بن صوحان فقال: **ائت معاوية فقل: إنا سرنا وانك قد قدمت بخيلك، فقاتلتنا قبل أن نقاتلك، وبدأتنا بالقتال، ونحن من رأينا الكف حتى ندعوك ونحتج عليك، وهذه أخرى قد فعلتموها حتى حلتم بين الناس وبين الماء، فخلّص بينهم وبينه حتى ننظر فيما بيننا وبينكم، وفيما قدمنا له وقدمتم، وان كان أحب إليك أن ندع ما جئنا له وتدع الناس يقتتلون على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا.**

فقال معاوية لأصحابه: ما ترون؟

قال الوليد بن عقبة: امنعهم من الماء كما منعوه ابن عفان، حصروه أربعين يوماً يمنعونه برد الماء ولين الطعام، أقتلهم عطشاً قتلهم الله، قال عمرو خل بين القوم وبين الماء فأنهم لن يعطشوا وأنت ريان، ولكن لغير الماء فأنظر فيما بينك وبينهم، فأعاد الوليد مقالته، وقال عبد الله بن أبي سرح - وهو أخو عثمان من الرضاعة- امنعهم من الليل فأنهم إن لم يقدروا عليه رجعوا، وكان رجوعهم هزيمتهم، امنعهم الماء منعهم الله يوم القيامة. فقال صعصعة بن صوحان: إنما يمنعه الله يوم القيامة الكفرة الفجرة شربة الخمر، ضربك وضربَ هذا الفاسق - يعني الوليد بن عقبة- فتواثبوا إليه، يشتمونه ويتهددونه.

وروى نصر بن مزاحم عن عون بن الأحمر: إن صعصعة رجع إلينا محدثنا بما قال معاوية وما كان منه وما رد عليه، فقلنا وما رد عليك معاوية؟ قال: لما أردت الانصراف من عنده قلتُ: ما تردُ عليّ؟ قال: سيأتيكم رأيي، قال: فوالله ما راعنا إلا تسويهُ الرجال والخيل والصفوف، فأرسل إلى أبي الأعور: أمنعهم الماء.

فازدلفنا واللهِ إليهم، فارتمينا وأطعنّا بالرماح، واضطربنا بالسيوف، فطال بيننا وبينهم، فضاربناهم فصار الماء في أيدينا فقلنا: والله لا نسقيهم، فأرسل إلينا علي:

خذوا من الماء حاجتكم وأرجعوا إلى عساكركم، وخلوا بينهم وبين الماء، فان الله قد نصركم ببغيهم وظلمهم[1].

ولم يكن القارئ بعيداً عن حيثيات الملحمة هذه، وكيف كان النزاع بين القوم والجلاد بين الطرفين، والتضارب بين الآراء، والتشاحن بين الفريقين، فبعضهم يرى منع الماء حتى يموت الآخرون عطشاً كما هو رأي معاوية وغيره ممن كان يحرّض بقوله:

أمنع الماء من صحابِ علــيٍ أن يذوقوه والذليلُ ذليــلُ
لو عليٌ وصحبهُ وردوا المــا ء لما ذقتموه حتى تقولـــوا
قد رضينا بما حكمتم علينـا بعد ذاك الرضا جلادٌ ثقيلُ
فامنع القوم ماءكم ليس للقو م بقاءٌ وأن يكن فقليــلُ[2]

ومنهم من لم يرَ الحقَ في ذلك لا لحراجةِ في دين، ولا لنصفةِ في

---

١ - نصر بن مزاحم، وقعة صفين: ١٦٧ وما بعدها، دار الجيل - بيروت ١٩٩٠م.

٢ - ن.م.

حق، ولا لورعٍ في عدل، ولكن خاف علياً أن يظمأ فيرده شواطئ المنية، ويذيقه دواعي الحتوف.

قال أبو الأعور السلمي لمعاوية: خلّ بينهم وبين الماء، فان علياً لم يكن ليظمأ وأنت ريان، وفي يده أعنة الخيل وهو ينظر إلى الفرات حتى يشرب أو يموت وأنت معه، أنّه الشجاع الطرق، ومعه أهل العراق وأهلُ الحجاز، وقد سمعته أنا وأنت وهو يقول: لو استمكنت من أربعين رجلاً.. فذكر أمراً يعني لو أن معي أربعين رجلاً يوم فُتشَ البيت، يعني بيت فاطمة[1].

وكان الصراع في أوجه، ولم يتح الموقف لأحدٍ أن يتخذ للأمر عذراً، ولا لرجلٍ من هؤلاء في تسامحه طوراً، بل كانت الصور مشحونةً، والنفوس موتورةً، والأيدي مبسوطةً، وما بين هذا وذاك يرى الفريقان أن في الماء نهاية المطاف أما نصرٌ وإما هزيمة. وإذا كان الأمر كذلك فلِمَ يرفض عليٌ أن يكون الماء هو بين ذل الاستسلام وبين خيبة القتل بسيوف عليٍ وأصحابه ولِمَ لم يستغل عليٌ حراجة الموقف وضرورة الماء الذي سيحسم كل شيء لصالح علي عليه السلام وقد حاز الماء وأحاط بعدوه؟ نعم هذا ممكن من أجل الحسابات العسكرية التي تستدعي هزيمة العدو بأي ثمنٍ كان، لكن علياً أراد أن يُعلّم أصحابه ومن أتى بعدهم أن النصر لا يؤخذ على حساب المبادئ وان ((الله قد نصركم ببغيهم وظلمهم)) فقد أسس موقفاً وأصّلَ قاعدةً وهي أن الانتصار هو للمبادئ والقيم وان كان ذلك على حساب النصر المادي فانه نصرٌ موهوم ونجاحٌ زائل.

---

١ - ن.م.

الوراثة الحقّة:

كانت هذه جولة صفين وقفنا فيها طويلاً واستلهمنا منها عبراً، وأهم ما استفدنا من ذلك قضيتان:

القضية الأولى:

إن منع الماء عن أبي عبد الله الحسين عليه السلام وآل بيته في واقعة كربلاء هي سنَة أموية بدأها معاوية من صفين وأكملها يزيد في كربلاء.

الثانية: إن الحفاظ على المبادئ عند علي حتى لو كانت على حساب النتائج الآنية هو الهدف الأسمى الذي سعى إليه في حربه وسلمه.

وهكذا هو مسلم بن عقيل عليه السلام لم يرتضِ لنفسهِ أن يمارس الفتك ويتخذ الغيلة للوصول إلى هدفه الذي هو تثبيت مبادئ النبوة وقيم الإمامة، وما دونها فأنه نصرٌ زائف ونجاحٌ موهوم لا يرتضيه مسلم بن عقيل عليه السلام وقد مثّل في تحركاته قائداً معصوماً، وثورةً إلهية كان الحسين حليفها وراعيها.

القضية الثانية:

((وطلع عليهم الحر الرياحي مع ألف فارس بعثه ابن زياد ليحبس الحسين عن الرجوع إلى المدينة أينما يجده أو يقدم به الكوفة فوقف الحر وأصحابه مقابل الحسين في حر الظهيرة.

فلما رأى سيد الشهداء ما بالقوم من العطش أمر أصحابه أن يسقوهم ويرشفوا الخيل فسقوهم وخيولهم عن آخرهم. ثم أخذوا

يملؤون القصاع والطساس ويدلونها من الفرس فإذا عب فيها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عزلت وسقي آخر حتى سقوا الخيل كلها.

وكان علي بن الطعان المحاربي مع الحر فجاء آخرهم وقد أضر به العطش فقال الحسين عليه السلام: **انخ الراوية وهي الجمل بلغة الحجاز** فلم يفهم مراده فقال له: **أنخ الجمل**، ولما أراد أن يشرب جعل الماء يسيل من السقاء فقال له (ريحانة الرسول): **أخنث السقاء، فلم يدر ما يصنع لشدة العطش، فقام عليه السلام بنفسه وعطف السقاء حتى ارتوى وسقى فرسه..**[1]

تُعدُ هذه الحادثة مؤشراً مهماً في بيان سلوكية الإمام الحسين عليه السلام ضمن تعاطيه مع أحداث الثورة، فهو عليه السلام لم يضع أمامه النصر العسكري الذي يستدعي حرمان هذا الجيش الذي جاء لمنعه وإجباره على الاستسلام والرضوخ لمطالب الأمويين، فبإمكان الحسين عليه السلام استغلال هذا الظرف القاسي وإجبار الجيش على الاستسلام والرجوع من حيث أتى، وبذلك سيتمكن الإمام من دخول الكوفة واحتلالها وبسط سيطرته فيها..

إلا أن الذي حصل أن تعامل الإمام مع هذا الجيش بلطفٍ وعناية لم يعهدها هؤلاء مع محاربٍ آخر من قبل ما دعى البعض أن يسجلوا للإمام رحمته ولطفه حتى مع أعدائه، ولعل التحولات التي سُجلت ليلة العاشر من المحرم من قبل الجيش الأموي والتحاق بعضه بجيش الإمام يُعد أحدى دواعي هذا التعامل من قبل الإمام، فضلاً عن أن الموقف الحسيني هذا سجلته ذاكرة الأجيال التي وعت على أن الإمام يحمل

---

١ - السيد عبد الرزاق المقرم، مقتل الحسين (ع):٢١٣.

رسالة إصلاح وليس رسالة حرب وأن سلوكه هذا هو امتداد لدعوة آبائه في التسامح وإرساء دعائم المحبة والسلام إلى الحد الذي تقتضي معه الضرورة أن يتعامل الإنسان مع عدوه تعاملاً إنسانياً طيباً.

إن الإمام عليه السلام لم يُرد إلغاء إنسانية هؤلاء بل تعامل مع إنسانيتهم تعاملاً أذكى لديهم روح الولاء غير المعلن المكنون في نفوس القوم بالرغم من بقائهم مع الجيش الأموي وعدم تحولهم، أي أن هذا الموقف الذي أبداه الإمام الحسين عليه السلام كان حجة على ذلك الجيش المحارب له والمتنكر لمعروفه.

إذن لم يخسر الإمام الموقف بل حاز على فضيلة ترسيخ القيم والإبقاء على المبادئ التي ثار من اجلها الإمام عليه السلام، فهي - أي هذه المواقف - جزء من رسالته ومهمته الإصلاحية الكبرى.

وهكذا هو رفض مسلم بن عقيل لاختيار طريقة الفتك والإغتيال والوصول إلى أهدافه بأيسر لطرق.. لكن على حساب المبادئ التي أُرسل من اجلها وخرج لترسيخها.

هذه الصور، وأمثالها الكثير من المواقف التي ميزت أهل البيت عليهم السلام في تعاملهم وتعاطيهم مع مشروعهم الإلهي أوجد امتداداً واضحاً وتواصلاً صريحاً مع أطروحة أهل البيت عليهم السلام، وأبقى مشروعهم حياً في ضمائر الأمة ودائماً في نفوس الآخرين، أي إن المشاريع الإصلاحية تنتهي بنهاية رجالها ويتوقف تنفيذها على أساس الفترة الزمنية التي تعيشها قيادتها في حين تبقى الأطروحة الإصلاحية لأهل البيت عليهم السلام باقية ببقاء الإنسان، تحيى معه وتعيش في وجدانه وضميره.

تنفيذ عملية الاغتيال لو تمت:

إننا أمام خيارات لابد من مراعاتها عند دراسة موقف مسلم بن عقيل عليه السلام في عملية اغتيال عبيد الله بن زياد، وتأثيرات تلك الحادثة على أبعاد الثورة الحسينية، فمسلم بن عقيل يمثل تحدياً واضحاً لمسيرة الأمويين وسياستهم في الكوفة، ورجالاتها تتربص بمسلم بن عقيل بعدما عجزت من مواجهته وإيقاف حركته، فالتيار الجارف الذي أحدثه مسلم بن عقيل فاق تصورات بني أمية ومؤيديهم وباتوا لا يقوون على شيء يستطيعون من خلاله مجابهة المد الثوري الذي أحدثه وصول مسلم للكوفة، فهم إذن لابد أن يتربصوا بمسلم وحركته ويرصدوها بكل تفاصيلها، وإذا كانوا غير قادرين على مواجهته فأنهم قادرون على وصمه بكل الأوصاف التي من شأنها أن تنتقص من حركة مسلم وأطروحة الإمام الحسين الإصلاحية وهم يستطيعون أن يسترعوا انتباه الأمة إلى حادثة اغتيال عبيد الله بن زياد ويوجهونها إلى ما يلي:

أولاً: مظلومية عبيد الله بن زياد وأنه المعتدى عليه، وأن مسلم بن عقيل، وشريك وهانئ بن عروة رضي الله عنه لم يراعوا حرمة الضيافة المأمور بها من قبل النبي صلى الله عليه وآله **((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه...))** وهي - أي الضيافة - بالرغم من كونها خُلقاً إسلاميا، إلا أنها كانت من متطلبات المجتمع الكوفي القبائلي الذي يتعاطى مع الضيف تعاطياً يعّده جزءاً من أخلاقياته التي لا يمكن أن يتخلى عنها أو يفرّط فيها، وإذا تم تنفيذ الاغتيال وقُتل عبيد الله بن زياد وهو في ضيافة هانئ فأن الدعاية

الأموية سوف تُستغل لصالح الأمويين ضد مشروع مسلم عليه السلام وحركته، وبذلك سيظهر مسلم بن عقيل في مظهر المعتدي، وسيكون عبيد الله بن زياد في مظهر المظلوم.

ثانياً: إن عملية الاغتيال والفتك لو تمت لتلقى الناس على أن مسلماً يسعى إلى الحصول على المنصب بأي ثمن كان، وأن اغتياله لعبيد الله بن زياد وبهذه الطريقة دليل على حرص مسلم للحصول على الحكم بأي طريقةٍ كانت وستصادر جهود الإمام الحسين وأطروحته الإصلاحية، من خلال ما تقدمه الصيحات الأموية في قلب الحقائق وتقديم صوراً مشوشة عن حركة مسلم وستنقلب جماعات المؤيدين لمسلم بن عقيل إلى تيارات معارضة تُحبط المشروع الحسيني بكل أبعاده.

ثالثاً: إن حادثة الاغتيال تتلقاها الأجيال القادمة قضيةً أخلاقية يستفيد منها النظام الأموي للتغطية على كل جرائمهِ وستكون هذه الحادثة منطلقاً للتشهير بثورة الإمام الحسين وستُلغى كل الفجائع من قتل الرضيع والأطفال والعُزّل ومنع الماء وترويع النساء وغيرها من الجرائمِ غير المغتفرة إنسانياً فضلاً عن المرفوضة شرعاً إلى قضية اغتيال مسلم لعبيد الله وكيف هتك حرمة الضيافة واستباح ذمام الآمن وكون هذه الحادثة في بداية الثورة الحسينية ستتصدر الأحداث وتواجه الخطاب العام بهذه الحادثة التي يخلق منها الإعلام الأموي فاجعة وهمية يستفيد منها نظامه المهزوم.

رابعاً: إن من أسباب امتناع مسلم في تنفيذ عملية الاغتيال هي زوجة هانئ بن عروة أخت عمرو بن الحجاج قائد الميمنة للجيش

الأموي حيث تعلقت بمسلم وأقسمت عليه أن لا يفعل ذلك في دارها كما ورد في النص وهذا الأمر جعل مسلم ينصرف عن تنفيذ العملية لو كان عازماً عليها، وهنا نتساءل: هل كانت خطوة امرأة هانئ - وبدون علم زوجها طبعاً - عملية اتفاقية تنطلق من كونها امرأة تخشى على بيتها من أن يتعرض للمساءلة عند تنفيذ العملية وأنها هواجس امرأة ترقب نقمة النظام وبطشه عند تنفيذ هذه العملية، أم أن الأمر أبعد من ذلك وهي كون هذه المرأة جزءاً من مخططات النظام الأموي في تنفيذ مشروعه للحفاظ على رموز النظام بغض النظر عن كون زوجة هانئ ملتفتة إلى هذا المخطط أم لا، وهل كون هذه المرأة غير مقتنعة بتحركات زوجها هانئ بحيث أحبطت مشروعه؟ وهل استطاعت أن تكون هذه المرأة سبباً في إفشال هذه المحاولة التي رغب في تنفيذها هانئ بالاشتراك مع شريك؟ إلى غير ذلك من التساؤلات التي تحضر في تحليل مثل هذه الحادثة وأمثالها.

إلا أن هذه الأسئلة سوف تصطدم بتساؤل آخر: وهو لو كانت امرأة هانئ جزءاً من مخططات المشروع الأموي لكانت عيناً على مسلم بن عقيل فتعمل على إحباط خططه والتعجيل في إفشال حركته من خلال إبلاغ عمرو بن الحجاج أخيها الذي يُعد جزاءاً من النظام الأموي وقائداً من قواده المتحمسين الذين سجلوا موقفاً مهماً في المعركة إذ أمر جيشه برضخ الإمام الحسين بالحجارة وكان يقول لأصحابه: قاتلوا من مرق عن الدين وفارق الجماعة، فصاح الحسين عليه السلام: **ويحك يا عمرو أعليّ تحرض الناس؟ أنحن مرقنا عن الدين وأنت تقيم عليه؟ ستعلمون أذا**

فارقت أرواحنا أجسادنا من أولى بصلي النار[1].

كان موقف عمرو بن الحجاج سيئاً جداً وكان يحمل الحقد والكراهية لأهل هذا البيت الطاهر عليهم السلام، فهل كانت أخته كذلك، هل كانت تمثل نموذجاً سيئاً في موقفها والمغاير لموقف زوجها حتى أنها كانت تعمل على إحباط مشروع مسلم بن عقيل، ولو كانت كذلك فما الذي يمنعها من إخبار أخيها عمرو بن الحجاج بضيافة مسلم في بيت هانئ فيؤخذ مسلم في الحال وينتهي كل شيء من أول الأمر، هذه احتمالات ترد في توقعات كل من أراد أن يفتح هذه الملفات الكوفية الساخنة.

ومع كل هذا فإننا لا نوجه الإتهام لزوجة هانئ بن عروة بطريقة التساؤلات ما لم نقف على دليلٍ يقطع الشك ويعززه باليقين.

رأي السيد المقرم في الحادثة:

قال السيد عبد الرزاق المقرم في تعليقه على تلك الحادثة وذلك حينما تعّرض لمقالة مسلم بن عقيل عليه السلام وامتناعه عن الفتك بعبيد الله بن زياد: وهذه الكلمة من عالم أهل البيت عليهم السلام وخليفة سيد الشهداء عليه السلام في الأمور الدينية والمدنية تفيد الملأ الديني المقتفي أثارهم فقهاً بشريعة الرسول الأقدس صلى الله عليه وآله المانعة من الغدر، وان النفوس الطاهرة تأبى للضيف أن يدخل بمن استضافهم ما يكرهون وهذه تعاليم مقدسة للأمة لو كانوا يفقهون.

وهناك سر دقيق ومغزى آخر نظر إليه ((شهيد القصر)) لمسناهُ

---

١ - المقرم: مقتل الحسين (ع):٢٩٠.

جوهرة فريدة من قول عمه أمير المؤمنين عليه السلام في جواب من قال له: **ألا تقتل أبن ملجم؟** فقال عليه السلام: **إذن فمن يقتلني؟** ومن قول الحسين عليه السلام لأم سلمة: **إذا لم أمضِ إلى كربلاء فمن يقتلني! ومن ذا يكون ساكن حفرتي! وبماذا يختبرون؟!.**

فإن مفاد ذلك عدم قدرة أحد على تغيير المقادير الإلهية المحتمة وقد أجرى الله القضاء بشهادة أمير المؤمنين والحسين عليهما السلام علي يد إبن ملجم ويزيد.

و إذا كان من الجائز أن يطلع أمير المؤمنين الخواص من أصحابه كميثم وحبيب ورشيد وكميل على كيفية قتلهم وعلى يد من يكون، فمن القريب جداً أن يوقف سيد الشهداء عليه السلام مسلم بن عقيل على ما يجري عليه حرفاً حرفاً لأن أبن عقيل في السنام الأعلى من اليقين والبصيرة النافذة ولكن الظرف لم يساعده على أظهار هذه الأسرار، فإن سر آل محمد مستصعب فأخذ يحمل في البيان..[1]

تعليق على ما أورده سيد المحققين:

وقد أراد السيد المقرم في تحليله هذا الوصول إلى سر موقف مسلم بن عقيل عليه السلام من واقعة الاغتيال وهي محاولات سائدة في ظل هذا الموقف تستبيح الكثير من الاحتمالات الواردة، وتؤشر على مجموعة من الممكنات الواردة في هذا الشأن... إلا أنه أشار إلى قضية لعل البعض يتداولها على سبيل الاعتذار لهذا الموقف العظيم لكنها تحكي عن حقيقة

---

١ - المقرم: مقتل الحسين (ع): ١٧١.

يمكن الوقوف عندها، وهي أن امتناع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من قتل أبن ملجم، واندفاع الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء مصرعه المحتوم لا يعني أن حالة الجبر والقدر كانت حاضرة في تحليل هذه المواقف، ولا تعني أن الإمامين أمير المؤمنين والحسين عليهما السلام عاجزين عن أبداء أية حركة بسبب هيمنة حالة وقوع المحذور، إلا إنهما يعلمان – سلفاً – أن المقادير تجري على أساس ما أُخبرا من المصير المحتوم وأن وقوع هذا المصير سواء كان على يد أبن ملجم أو غيره، أو على يد أبن زياد أو غيره فأن أصل القضية لا بد من حتميتها ووقوعها ولا تتوقف على شخص المنفذ لذلك، إلا أننا نؤكد أن الأمر لا يعني استسلام إرادتهم عليهم السلام لفكرة الجبر والقدر التي سادت في أيام الأمويين لتبرير أعمالهم، بل أن ذلك حاكياً عن إذعانهم لمقادير الله تعالى ولابد من التفكيك بين مفهومين متغايرين متقابلين:

الأول: إلغاء مفهوم الجبر وإحباط محاولات الجبرية التي تزعمها بنو أمية لتمرير مخططاتهم في إلقاء مسؤولية جرائمهم على مفهوم الجبر الإلهي الذي أجبرهم على هذا الظلم كما يزعمون.

الثاني: إن التسليم لأمر الله تعالى والرضا بقضائه كانت هي سيرة أهل البيت وأطروحتهم والتي على ضوئها يتحركون ويتعاملون مع الأحداث، ولا يعني هذا التسليم هو الاستسلام لإرادة الظالمين بل انهم بذلوا ما بوسعهم من دفع غائلة الظلم مع علمهم بجريان مقادير الله تعالى وأن استسلام الإمام أمير المؤمنين أو الحسين أو مسلم بن عقيل عليهم السلام لهذا المحتوم المتيقن هو استسلام لإرادة الله تعالى وخضوعاً للمقادير

الإلهية التي تجري على يد هؤلاء، وتحليل السيد المقرم إضافة مهمة في تحليل موقف مسلم بن عقيل عليه السلام من هذه الحادثة.

الحادثة أظهرت كفاءة مسلم بن عقيل في سفارته الناجحة:

لعلنا لا نبالغ أن نشير إلى هذه الحادثة وإمكانية النجاح الباهر الذي أظهره مسلم بن عقيل في تعاطيه مع قضية الاغتيال.

فالكتاب الذي أرسله الإمام الحسين عليه السلام في تعيين مسلم بن عقيل سفيراً له كان مملوءاً بالثقة والأمل في كون مسلم بن عقيل سينجز المهمة على أحسن وجه ((**وقد بعثت إليكم أخي وأبن عمي وثقتي من أهل بيتي..**)) وهذه الأوصاف جاءت في خضم حالة الاختيار لبدائل – لعلها كانت معروضة – للقيام بهذه المهمة الخطيرة، فالمهمة كانت تشكل الشرارة الأولى لاندلاع الثورة، وإنها الخطوة الحاسمة في إمكانية نجاح أو فشل الثورة، إضافة إلى أن هناك بدائل مطروحة لخيارات التعيين والتي تدور في أذهان البعض كالعباس بن علي وهو أخ الإمام الحسين وأبن أمير المؤمنين، أو علي الأكبر عليه السلام وهو ابنه وثقته وغير هؤلاء المرجوين لهذه المهمة، إلا أن الاختيار لم يعدُ مسلم بن عقيل عليه السلام الذي كان كفوءاً لإنجاز المهمة وحسم المواقف وتعبير الإمام بأنه ثقتي من أهل بيتي، عبارة دقيقة ومن متطلبات الموقف الحرج، فضلاً عن أوساط الكوفيين الذين لم يقتنعوا ـ بسهولة بأية قيادةٍ كانت ـ لولا تاريخ مسلم بن عقيل ومكانته فضلاً عن سمعته في صفين وغيرها.

لقد أبدى مسلم بن عقيل حماساً منقطع النظير في إنجاح المهمة،

وانجاز السفارة وكان من متطلبات ذلك تطبيق المبادئ الحسينية على أحسن وجه دون تردد ولا أدنى تلكؤ، حتى كانت واقعة طلب اغتيال عبيد الله بن زياد من قبل أهم قطبي الحركة الحسينية شريك بن عبيد الله الأعور الهمداني وهانئ بن عروة اللذان رأيا من المصلحة قتل عبيد الله بن زياد في زيارته لهما وقطع دابر الفتنه واستئصال شأفة الوجود الأموي في الكوفة، ورأى مسلم بن عقيل تمرير الزيارة بسلام دون التعرض لعبيد الله بن زياد وكانت المبادئ تقتضي ذلك والحكمة تتطلب الروية، فكان قرار مسلم هو عدم الأقدام على قتل عبيد الله بن زياد بهذه الطريقة دون الحفاظ على أصول الثورة وقواعد الدعوة الإصلاحية التي جاء من أجلها مسلم بن عقيل لتثبيت أسسها والعمل على ترسيخها بعد أن أُلغيت القيم في ظل الحكومة الأموية المسخرة لمصالح آل أبي سفيان والقائمة على مسخ المبادئ الإسلامية واستبدالها بمبادئ الجاهلية التي يتطلع إلى إعادتها الأمويون ليتمكنوا من بسط نفوذهم دون معارضةٍ تُذكر.

لقد أحسن مسلم بن عقيل الأداء، وأتقن صنع القرارات الحاسمة وهو في خضم إصرار أحد أهم قطبي الثورة ورجالاتها، وهو لعمري موقفٌ من أحرج المواقف إذ أن مخالفة أجماع الآراء والتفرد برأي واحد والإصرار على موقفٍ واحد ذلك يحتاج إلى ثباتٍ في الموقف ينطلق من قناعات لا يشوبها تردد، ولا يعترضها خوار... فكان ذلك القرار الصائب الذي أعلنه مسلم إلى الأجيال رسالة سلمٍ وسلام..

نص أبن الأثير:

الذي يصرّح فيه رفض هانئ لقتل عبيد الله بن زياد في داره:

((ومرض هانئ بن عروة بعد نزول مسلم بن عقيل عليه السلام عنده فأتاه عبيد الله بن زياد يعوده فقال عمارة بن عبد الله السلولي لهانئ: إنما جماعتنا وكيدنا قتل هذا الطاغية، وقد أمكنك الله فاقتله، فقال هانئ: ما أحب أن يقتل في داري، وجاء أبن زياد فجلس عنده وخرج))[1].

ونصٌ آخر أكثر صراحة في رفض هانئ لمشروع الاغتيال: ((هناك توسل هانئ إلى مسلم أن لا يقتل عبيد الله أثناء عيادته لشريك، فلما كان وقت الميعاد جاء عبيد الله بن زياد، ودخل مسلم الخباء، وهمّ مسلم أن يخرج إليه، فوثب إليه هانئ وقال له: يا سيدي ناشدتك الله لا تفعل ذلك، ولا تُحدث في منزلنا حادثة، فان فيه نسوة ضعافاً وأطفالاً صغاراً فأخاف عليهم. فقال مسلم: معاذ الله أن يصاب أحدٌ من اجلنا بمكروه فنكون قد تقلدنا اثمهُ وقَبِل قول هانئ وأطاع أمره وبقي على حاله فأبطأ ذلك على شريك فجعل يتمثل بهذه الأبيات:

ما تنظرون بسلمـــى لا تحيوهـــا	حيوا سليمى وحيوا من يحيهـا
هل شربةٍ عذبةٍ أُسقى على ظمأ	ولو تَلفْتُ وكانت منيتي فيهـا
وإن تخشيت من سلمى مراقبـةً	فلستَ تأمن يوماً من دواهيها[2]

---

١ - ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣:٣٦١.

٢ - موسوعة كربلاء د.لبيب بيضون ١: ٤٧١ عن مخطوط مصرع الحسين مكتبة الأسد.

في حين يضعنا النص التالي أمام إصرار هانئ بن عروة على عملية الاغتيال وإصراره على تصفية عبيد الله بن زياد:

فقال له – أي مسلم – هانئ بن عروة: إن لي من أبن زياد مكاناً وسوف أتمارض له، فإذا جاء يعودني فاضرب عنقه، قال:فقيل لأبن زياد إن هانئ بن عروة شاكٍ يقيء الدم، قال: وشرب المغرة [1] فجعل يقيئها، قال: فجاء ابن زياد يعوده، وقال لهم هانئ: إذا قلت لكم أسقوني ولو كان فيه ذهاب نفسي.

قال: فخرج عبيد الله بن زياد ولم يصنع الآخر شيئاً، وكان من أشجع الناس، ولكنه أخذته كبوة.. [2]

كبوة ابن قتيبة في (كبوة) القرار:

ولعل النص التالي سيضعنا أمام قراءةٍ أخرى للحدث وهو إصرار هانئ بن عروة على اتخاذ قرار الاغتيال لعبيد الله بن زياد، فان النص السابق لعله بادٍ في تردد هانئ بقرار شريك و أن الأمر حصل اتفاقاً وكون هانئ بن عروة تعامل على أساس الأمر الواقع حيث رِضخ لرغبة شريك الذي ناقش الأمر تواً وقبيل دخول عبيد الله بن زياد عليهما حتى انقطع الكلام ولم يستطع هانئ إبداء موقفه.

ولسنا في صدد تصحيح النص الذي يبدو مضطرباً في بعض أجزائه

---

١ - المغرة: طين احمر يُصبغ به، والمغرة مسحوق أكسيد الحديد، ويوجد في الطبيعة مختلطا بالطين اليابس، وقد يكون اصفر واحمر بنيا، ويُستعمل في أعمال الطلاء.

٢ - الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري ٢:١٨٣ دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٨.

التي لم ننقلها، إلا أننا حاولنا أنْ نتعامل معه بشكلٍ يسير ليتبين لنا موقف هانئ وإصراره على تصفية عبيد الله بن زياد بهذه الطريقة.

ولعل ابن قتيبة يمثل شريحة واسعة في فهم موقف مسلم وتأخره عن تنفيذ عملية الاغتيال لعبيد الله بن زياد حتى وصفها بالكبوة وهو وصف غير جدير بموقفٍ خطير تجلى فيه حرص مسلم على مبادئه العظيمة، وقيمة القويمة، والكبوة التي يريدها ابن قتيبة لمسلم هي حالة التردد والخوف وعدم الإقدام وهذا اغرب ما وقفت عليه في تحليلات ابن قتيبة وهو يجانب الحقيقة بشكلٍ فج مثير.

مسلم بن عقيل عليه السلام.. رجل التحديات والمهمات الصعبة:

إن المواصفات التي توفرت في مسلم بن عقيل أهلتهُ لتسلم الحركة الحسينية في الكوفة وعمل على الكثير من الأمور التالية:

١ ـ تمهيد الأمور لقيام الثورة الكوفية وذلك من خلال استقطاب العديد من الأنصار الذين تحركت لديهم الرغبة في المشاركة.

٢ ـ توطيد الأحوال لنجاح الثورة بالرغم من عدم سقوط الكوفة بيد الثوار وهذا بحد ذاته يُعَدُّ نشاطاً مهماً في ترسيخ دعائم الحركة الحسينية التي تحل تواً في الكوفة المتشعبة الأطوار والمختلفة الأحوال.

٣ ـ إن سطوة الأمويين لا تزال قائمة وذلك من خلال وجود النعمان بن بشير الأنصاري الوالي الأموي في الكوفة الذي يمارس كامل صلاحياته في قصر الدولة ((قصر الأمارة)).

٤ ـ إن الوالي الأموي لا يزال يمتلك القوة العسكرية التي تحيط

بقصر الأمارة ومجموعة مقاتلة في داخل القصر كحماية الوالي وهي من متطلبات منصبه، أي على أقل تقدير لا يزال الوالي الأموي لديه آليات الهجوم العسكري تحسباً لأي هجوم مباغت يأتيه من الداخل أو الخارج، وبمعنى آخر فان الجيش النظامي الأموي لا يزال قائماً، ومع هذه الإمكانيات فقد استطاع مسلم بن عقيل عليه السلام أن يقتحم الكوفة دون تردد.

٥ ـ إن تياراً أموياً أو من أنصار الأمويين تقتضي مصالحهم الشخصية الإبقاء على النظام الأموي وعدم التفريط به، وهم غير راغبين في استبداله وإنهائه لتعلق مصالحهم بسلامة هذا النظام، فقد كان هذا التيار يشكل تحدياً واضحاً لأي حركةٍ تقوم في الكوفة ما لم يواجهها بعنفٍ وقوة لإحباطها وإيقاف مدها، في حين لم يستطع هذا التيار الأموي أن يتحرك بوجود مسلم بن عقيل عليه السلام وحكمته في أدارة الأمور.

٦ ـ إن دخول مسلم بن عقيل عليه السلام إلى الكوفة هزم النظام الأموي بشكلٍ صارخ حيث أفقد ثقة الناس به ولم تعد تُقتهم فيه بأنه المدّبر للسياسات الأمنية أو السياسات العامة وهذا يعني عدم فعالية أي جهد مضاد يوجهه النظام ضد مسلم بن عقيل عليه السلام وحركته.

٧ ـ عمل مسلم بن عقيل عليه السلام من خلال تواجده في الكوفة على تصعيد النقمة الشعبية ضد النظام الأموي في الكوفة خصوصاً والنظام الأموي المركزي في الشام عموماً، وتوجهت جهود مسلم بن عقيل عليه السلام في تعزيز السخط العام الجماهيري ضد النظام مما افقده هيبته وسطوته بشكلٍ ملحوظ.

٨ ـ إن دخول مسلم بن عقيل عليه السلام وحده إلى الكوفة دون مرافقته لأية قوة كان تحدياً كبيراً للسلطة المركزية في الشام وإحباطاً لكل محاولات النظام في تمتين الثقة العامة به وزعزعة التأييد الشعبي العارم الذي أحدثه دخول مسلم عليه السلام إلى الكوفة دون أن يرافقه أحد، مما يُعد في الحقيقة تسجيلاً خطيراً في مؤشرات الثورات العامة وفي تاريخها المبني على التحرزات الشديدة والتحفظات الدقيقة، في حين يقتحم مسلم بن عقيل عليه السلام الكوفة لوحده دون أن يسجل أي تراجعٍ على صعيد التأييد العام.

٩ ـ إن دخول مسلم بن عقيل عليه السلام الى الكوفة لوحده لينطلق منها إلى ثورة كبرى تقضي على النظام المركزي، أعاد الثقة في نفوس الكثير من المترددين، وبعث الأمل في أولئك الذين كانوا يتأملون في أمكانية إزالة النظام الجائر واستحالة تغييره في حين تحدى مسلم بن عقيل عليه السلام هذه الأسطورة واستطاع من خلال إقدامه الشجاع أن يعيد ترتيبة الحسابات العامة التي تنظر إلى النظام بأنه قوة قاهرة لا تُجابَه.

١٠- إن دخول مسلم بن عقيل عليه السلام لوحده واتخاذ منهجية عفوية في استقطاب الآلاف من المؤيدين أرعب الوالي الأموي في الكوفة وألقى ظلالاً من الشك على أمكانية إعادة الهيبة الأموية في أوساط الأمويين أنفسهم واستطاع مسلم بن عقيل عليه السلام بعث الروح في الجسد الكوفي الخاوي الذي أرهقته تقلبات سياسية أطاحت بالكثير من مبادئه وقيمه.

١١- إن ديموغرافية المجتمع الكوفي شائكة معقدة، تفترسها الوحشية القبلية، وتستعطفها الأوهام القومية، وتعتريها الآراء الفاسدة الدينية، وهي بين شيعي مؤيد، وبين أموي محرّض، وبين خارجي يتبع ما تشابك

من الرؤى وما اتفق من المصالح، وبين همجٍ لا يرعوون ولا يتدبرون وهؤلاء يشكلون خارطة كوفية خطيرة واتفاقهم على مسلكٍ واحد لم يكن أمراً هيناً، ولا عملاً بسيطاً بل يتطلب جهداً جهيداً يشترك فيه فريقٌ من الخبرات المتعددة التي تستطيع ان تؤلف بين الجميع، في حين اختصر مسلم بن عقيل عليه السلام هذه الجهود المضنية بجهده المتميز وإقدامه المتحدي أو استطاع أن يصل إلى نتيجةٍ لم يصل إليها فريقٌ سياسي متطور ولا جمعٌ خبير متميز.

١٢- استطاع الإمام الحسين عليه السلام أن يقود ثورته من الكوفة بقيادة مسلم بن عقيل عليه السلام بالرغم من بُعد مسلمٍ عن مركز القرار، وإدارة الثورة بكل دقائقها وتفاصيلها بشكلٍ ينسجمُ ومتطلبات القيادة ورغبتها في تسيير الأمور على أساس مبانيها دون أن يحدث أدنى خرق أو تخلف عن ملاكات القائد ومباني ثورته وهو أمرٌ ليس باليسير ولا بالهين، ولم تسّجل لنا أدبيات الثورة الحسينية أدنى تحفظ على مسيرة مسلم بن عقيلعليه السلام وتعاطيه مع الأحداث، مما يشكّل منعطفاً مهماً في تاريخ الثورات بكل توجهاتها وخصوصياتها، مما يعني إنسجام توجهات مسلم بن عقيل عليه السلام مع الإمام الحسين عليه السلام القائد العام للثورة وبشكلٍ يتطابق إلى الحد الذي انطبق عليه تقريض الإمام الحسين عليه السلام في كتابه: **((ثقتي من أهل بيتي))** فكان المعصوم في تشخيصه معصوماً.

١٣- إن ضمانة كل ما توفر من هذه الأمور في حركة مسلم بن عقيل هي للخصوصيات التي توفرت عليها شخصيته المتميزة التي أشرنا إلى بعضها، كالشجاعة والفقاهة والولاء المطلق لأهل البيت عليهم السلام وإيمانه

بنهجهم إلى غير ذلك من الصفات والخصوصيات التي لم تتوفر إلا عند القلائل العظماء فكان مسلم بن عقيل أحدهم.

نجـــاح المهمة:

من خلال المعطيات التي قدمناها في حركة مسلم بن عقيل فقد نجحت سفارته في الكوفة نجاحاً باهراً، وسجّلت لقيادته دوراً عظيماً في تحقيق الأهداف المرجوة لثورة الإمام الحسين عليه السلام والتي كان يصبو من خلالها إلى تثبيت مجموعة من القيم والمبادئ التي كانت تعوزها أية ثورة أخرى، فقد حققت هذه السفارة جملةً من المعطيات كان أهمها:

أولاً: أثبت مجيء مسلم بن عقيل إلى الكوفة أمكانية التعامل مع الحدث على أساس المبادئ التي سعى من أجلها الإمام الحسين وعمل على تثبيتها وترسيخها في جوِ مشحونٍ بالمؤثرات ضد أهل البيت عليهم السلام خصوصاً وضد الإسلام بصورة عامة، فقد كانت استجابة مسلم بن عقيل لدعوة الكوفيين وبأمرٍ من الإمام الحسين عليه السلام- انبعاثاً حقيقياً نحو تجسيد المبادئ التي أستشهد من أجلها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في المحراب الكوفي، واغتيل بسببها الإمام الحسن عليه السلام على يد ابنة أحد أقطاب التيارات الكوفية المعارضة لسياسة الإمام أمير المؤمنين ذلك الأشعث بن قيس قائد المؤامرات الكوفية ضد حكومة الإمام علي عليه السلام وضد فكره ومشروعه، ومحاولة إقصاء المشروع العلوي من قبل الأمويين لم ينجح بعد ومسلم بن عقيل يقود الرغبة الجماهيرية الكوفية العارمة التي تصبو للتغيير في مسيرة الكوفيين نحو تحديث الاتجاه الإسلامي الذي بات إسلاماً أموياً بكل فصوله إلى إسلامٍ علوي بكل تفاصليه، هذه هي

حقيقة الأمر كما قرأها الأمويون الذين انخرطوا تحت عنوان التيار الجماهيري العام الذي يدعو الإمام الحسين عليه السلام للمجيء إلى الكوفة، شبث بن ربعي، حجار بن أبجر، يزيد بن الحرث، يزيد بن رويم، عزرة بن قيس، عمرو بن الحجاج، محمد بن عمير بن عطار، وكان كتاب هؤلاء من أهم الكتب في مطالبة الإمام الحسين عليه السلام بالمجيء وأشدها لهجةً في الرغبة بالإصلاح وكان نص كتابهم:

بسم الله الرحمن الرحيم

للحسين بن علي أمير المؤمنين من شيعته وشيعة أبيه، أما بعد فحيهلا، فان الناس ينتظرونك لا رأي لهم غيرك، فالعجل العجل يا ابن رسول الله، فقد اخضر الجناب، وأينعت الثمار، وأعشبت الأرض و أورقت الأشجار، فأقدم إذا شئت، فإنما تقدم إلى جُندٍ لك مجندة والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وعلى أبيك من قبل[1].

ولعل هذا الكتاب كان آخر الكتب مما يكشف استسلام هؤلاء النفر من ((الفصيل الأموي)) لرغبة التيارات العامة في التغيير، ويبدو أن هؤلاء كانوا يتحسبون مجيء مسلم بن عقيل وبعثه من قبل الإمام الحسين، مما دعاهم إلى قراءة الأحداث القادمة بجدية كاملة والتعاطي معها بكل واقعية للحصول على حظوة السلطان أو لتحاشي المتغيرات التي تُحدثها الثورة القادمة، أي استطاعت حركة مسلم بن عقيل أن تعمل على تغيير الولاءات المستبطنة منها كهؤلاء النفر من التيار الأموي،

---

١ - الخوارزمي: المقتل ١: ١٩٥، موسوعة كربلاء ١: ٤٤٨.

أو الظاهرة منها كالولاءات الشعبية العامة، وبمعنى أخر أن هذا التيار الخطير عمل مسلم بن عقيل على كشفه وعدم انخداع الناس به، فهم من جهةٍ يستحثون الإمام الحسين على المجيء ومن جهةٍ أخرى يشكلون التيار المتشدد في صد حركته وقيادة المعارضة له.

كما شكّلت حركة مسلم بن عقيل، وهو حضوره إلى الكوفة وتحديه لحكومة الأمويين منعطفاً مهماً في تحريك همم الثوار وتأجج مشاعر الاحتجاج ضد النظام الأموي، أي كانت استجابة مسلم للكوفيين الخطوة الأولى لتحشيد الرأي العام الكوفي ضد الأمويين وانخراطهم في صفوف ثورة الإمام الحسين وكان الانخراط هذا على أساس الحضور المادي في الأحداث أو الإبقاء على علاقتهم بالجيش الأموي دون الالتحاق بالإمام الحسين - لأسباب عدة - إلا أنهم كانوا يعيشون الثورة بوجدانهم ومشاعرهم التي تجيش بالإعجاب والإكبار لموقف الإمام الحسين وأصحابه الميامين.

ثانياً: كان لمجيء مسلم بن عقيل للكوفة أثره في تمتين العلاقة بين الكوفيين وبين أهل البيت عليهم السلام، ولا ننسى ما أبداه الكثير من الكوفيين في أظهار التأسف والندم على ما فرطوا في جنب الإمام الشهيد عليه السلام وما أظهروه من تخاذل وتلكؤ في الاستجابة لنداءات الإمام، وكان إنشدادهم لقضية الإمام الحسين تبدأ من تعاطيهم مع حركة مسلم بن عقيل بغض النظر عن حالات الخذلان التي أبدوها مع مسلم بن عقيل، إلا أن حركته تركت انطباعاً مهماً في نفوسهم وجذوةَ ألهبت مشاعرهم فيما بعد فنتجت ثورة التوابين وما تلاها من ثورات.

ثالثاً: ألهب مسلم بن عقيل مشاعر الكوفيين وادخرت هذه المشاعر لتتصاعد إلى حركات ثورية فيما بعد فأولدت حركة المختار، وأنتجت ثورة التوابين وصنعت من الكوفة مهداً للمعارضة الأموية حتى سقوط نظامهم.

رابعاً: إدخر مسلم بن عقيل مجموعة من فدائيي النهضة الحسينية دون أن يفرّط فيهم و أبعدهم عن خط المواجهة وخطر الملاحقة، فأوعزَ إلى العديد من أنصاره بالاختفاء أمثال مسلم بن عوسجة، بُرير بن خضير، حبيب بن مظاهر ألأسدي، نافع بن هلال وغيرهم الكثير لئلا يدخلوا في معركةٍ خاسرة مع عبيد الله بن زياد ويكتشف ابن زياد منابع القوة ومصادر المدد للثورة القادمة، فابن زياد عمل ضمن ولاءات كوفية متأخرة وعقد الآمال على تحولات الموقف الكوفي الجديد وراهن على التخذيل والإعلام المضلل - كما سيأتي - وهو بهذا فقد ضمن فرصةَ من النجاح تستتبع محاولات من الانقضاض على أنصار مسلم بن عقيل الذين سيكونون فيما بعد أنصاراً للحسين عليه السلام والقضاء على هؤلاء الأنصار يعني القضاء على قوة مدخرة يعتمد عليها الإمام الحسين القادم إلى كربلاء وهنا ستخسر الثورة الحسينية أهم أنصارها إلا أن حكمة مسلم عليه السلام اقتضت أن يوعز إلى أصحابه بالاختفاء والتربص لمجيء الإمام الحسين الذي شارف على الوصول، وبهذا فقد أنجح مسلم بن عقيل مشروع الإمام الحسين برفد ثورته بأنصار مقاتلين أشداء.

خامساً: تعبئة المجاميع القتالية الكوفية على يد مسلم بن عقيل كان له أثره في نجاح الثورة الحسينية بمقدار إمكانية المواجهة مع الجيش

الأموي، وعززت هذه التعبئة موقف أصحاب الحسين في المعركة فكان عملاً جباراً قام به مسلم بن عقيل وهو في خضّم إمكانيات دولة أموية لم تزل قائمة بعد ونظام عاتٍ مستبد.

هذه هي مؤشرات النجاح لثورة مسلم بن عقيل الكوفية، وهناك مؤشرات أخرى لم نقف عليها في قراءاتنا، فلربما أحدٌ من الباحثين سيقف عليها فيما بعد.

مرحلة حرجة:

لم تدم حالة التأييد الكوفي لمسلم بن عقيل طويلاً بعد دخول عبيد الله بن زياد، فقد كان لاستقراره في قصر الإمارة مبعث أملٍ في نفوس التيارات المعارضة خصوصاً التيار الأموي المستبد والخارجي المتشدد، وكان يتزعم هذه التيارات رجالٌ انتهازيون يتربصون بالأوضاع العامة وينتظرون انقلاب الموازنات واتيان الفرص، ويتوقعون الوثوب على الثورة الحسينية التي يقودها مسلم بن عقيل عند أقرب أمكانية متوفرة تشهدها الساحة الكوفية.

لم يرق للتيار الأموي سياسة النعمان بن بشير الوالي الأموي في الكوفة فقد كان يدفع الأمور باتجاه العافية ويؤثر المحادثة مع مسلم بن عقيل ولا يرضى بإثارة الأمور، فقد خطب حين قدوم مسلم كما عن الطبري:

خرج النعمان بن بشير وصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ((أما بعد، فاتقوا الله عباد الله، لا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة فان

فيها يهلك الرجال وتسفك الدماء وتغصب الأموال - وكان حليماً ناسكاً يحب العافية.. قال: إني لم أقاتل من لم يقاتلني ولا أثب على من لا يثب عليّ ولا أشاتمكم ولا أتحرش بكم، ولا آخذ بالقرف ولا الظنة ولا التهمه، ولكنكم أن أبديتم صفحتكم لي ونكثتم بيعتكم وخالفتم إمامكم فوالله الذي لا إله غيره لاضربنكم بسيفي ماثبت قائمه في يدي ولو لم يكن لي منكم ناصراً، أما أني أرجوا أن يكون من يعرف الحق منكم أكثر ممن يرديه بالباطل..))[1].

لم يعجب هذا الكلام المتشددون في التيار الأموي، فاستسلام النعمان بن بشير واضح أمام هذه التحولات الكوفية عند دخول مسلم بن عقيل فقد ضعف النعمان إلى الحد الذي يخطب بهذا الخطاب المهزوم، ولم يلق تأييداً من قبل الآخرين فجابهوه واعترضوا عليه حتى قال قائلهم وهو عبد الله بن مسلم الحضرمي حليف بني أمية: أنه لايصلح ما ترى إلا الغشم، إن هذا الذي انت عليه فيما بينك وبين عدوك رأي المستضعفين..

وقد رد النعمان بن بشير الأنصاري عليه: لأن أكون من المستضعفين في طاعة الله، أحبّ اليّ من أن أكون من الاعزين في معصية الله..[2]

وعلى ما يبدو أن موقف النعمان هذا نابع من رؤيتين:

الأولى: ان النعمان بن بشير وجد حماس الكوفيين للتغيير على يد

---

١ - الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٤: ٢٦٤.

٢ - كاشف الغطاء، الشيخ محمد حسين، المجالس الحسينية: ٨٤.

الحسين بن علي عليه السلام وأن توجههم لاستقبال مسلم بن عقيل يحبط معه جميع محاولات النعمان وغيره، فوجد من المصلحة اتخاذ الموقف السلمي من حركة الثوار، ولا تعدو تهديداته للكوفيين سوى ذَرّ الرماد في عيون الأمويين الذين بات موقفهم ضعيفاً، وان العنف في مجابهة الثورة لا يجدي نفعا وانه سيكون ضحية المغامرات التي يحاول ارتكابها مع الكوفيين، لذا فقد كان حكيما في اتخاذ موقف المسالمة.

الثانية: إن النعمان كان ممن رفض بيعة يزيد ومعنى هذا أن الرفض الكوفي للبيعة كان على مستويين احدهما رسمي مثّله النعمان بن بشير الوالي، والثاني كان رفضا شيعياً عاماً.

أما رفض النعمان فهو لعدم قناعته بشخصية يزيد من قبل وخلافه معه من أيام معاوية في قصة هجاء الأخطل الشاعر للأنصار وبأمر يزيد مما دفع النعمان أن يتخذ موقفا متشدداً من يزيد لإهانته الأنصار وهو يومذاك من شيوخهم ورؤسائهم. وهذا الأمر وغيره – على ما نحسب – أجج مشاعر الكراهية والرفض ليزيد وبيعته.

التيار الأموي في مواجهة النعمان:

كتب بعد ذلك عبد الله بن مسلم الحضرمي إلى يزيد كتاباً يخبره بالذي هو فيه من أمر الوالي، يشكو إليه ضعفه وتخاذله: أما بعد فان مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة فبايعته الشيعة للحسين بن علي، فان كان لك بالكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قوياً ينفذ أمرك ويعمل مثل عملك في عدوه فان النعمان بن بشير رجلٌ ضعيفٌ وهو يتضعف.

ثم كتب إليه عمارة بن عقبة بنحو ذلك، ثم كتب إليه عمر بن سعد بن أبي وقاص بمثل ذلك... إلى آخر الرواية[1] وتنتهي باختيار يزيد بن معاوية لعبيد الله بن زياد والياً على الكوفة ليضم إليها البصرة وما والاها، والكوفة وما حاذاها، ويتبع عبيد الله بن زياد سياسة البطش والتنكيل والإعلام المضاد لثورة الإمام عليه السلام حتى استطاع الجهد الإعلامي هذا أن يغير المعادلة بشكلٍ غير متوقع وتنقلب الأمور إلى الاتجاه المضاد.

المخابرات الأموية تدخل حالة طوارئ للقبض على مسلم:

ولم تنفع أيّةُ جهود للقبض على مسلم كونه كان شديد الحذر ويعمل وفق نظام استثنائي لئلا يعمل الأمويون بالاتجاه المعاكس لثورته فقد كانت شخصية مسلم بن عقيل في عملها تجمع بين المتناقضات لأكثر من ثمانية عشر ألف من الكوفيين، وبين حالة الاختفاء إلا أن اختفاءه هذا لم يؤثر على مستوى الأداء التعّبوي الذي كان يمارسه مسلم بن عقيل في حركته بل كان يقظاً دائب الحركة ليل نهار وأحسب أنه لم يأخذ قسطاً من الراحة أو النوم وهو يعيش في حالة إنذار لتحشيد الرأي العام الكوفي، إلا أن ذلك لم يمنع من اختراق رجالات المخابرات الأموية ودخولهم على الخط بصفة مناصرين للثورة، فهذا معقل وهو مولى من أهل الشام – والظاهر انه خبيرٌ بالجهد المخابراتي للدولة المركزية في دمشق وأرسل لهذا الغرض أي دعم عبيد الله بن زياد في البحث عن

---

١ – الطبري :تاريخ ٤: ٢٦٤.

مسلم - ولم تنفع المحاولات المبذولة في العثور على مسلم وهو أمرٌ عجيب، إذ مع إعطاء البيعة من قبل ثمانية عشر ألف كوفي لمسلم إلا أن خبر وجوده لا تعلمه مجموعة عبيد الله بن زياد بالرغم من بذل الجهود الاستثنائية ونوعز ذلك إلى احتمالين:

الأول: احتمال حرص الكوفيين على عدم نشر الخبر وبثه والحفاظ على السّرية التامة حول تحركات مسلم، وهذا ينبئ عن صدق الكوفيين في بيعتهم لمسلم، فقد حرصوا على عدم تسريب أيّةِ معلومة تخص مسلم بن عقيل والتعتيم على تحركاته.

الثاني: ولعله هو الأقرب إضافة إلى العامل الأول، حنكة مسلم بن عقيل في الحفاظ على سرية الثورة وحركة قيادتها، وإظهار الجهد الاستثنائي المتميز في إبعاد أي خطر على الثورة لحين وصول الإمام الحسين عليه السلام الى الكوفة. إلا أن ذلك يتخلله خرقٌ مخابراتي لتحفظات مسلم وسريته في الدعوة، فقد كانت ظاهرة الجاسوسية شائعة في حكومة معاوية بن أبي سفيان، فقد مرت مرحلة الإمام الحسن بن علي عليه السلام بتجربةٍ مريرة من ظاهرة الجاسوسية الأموية لولا إجراءات الإمام الحسن عليه السلام في قطع دابر هذه التحديات، فقد أخرج الإمام الحسن ((جواسيس معاوية في الكوفة والبصرة، أحدهما من حمير بعثه معاوية إلى الكوفة، وجاسوس من القين مهمته البصرة، فأخرج الحميري من حجام كوفي - وفي رواية - لحام - والقيني انتزعه من بني سليم يُؤوِنُهُ عيناً على الحسن بن علي عليه السلام وتحركاته[1])).

---

١ - الحسن بن علي عليهما السلام رجل الحرب والسلام للمؤلف:٥٤، مؤسسة

وهكذا استمر هذا الجهد المخابراتي في أيام يزيد ونشط إبان ثورة الإمام الحسين واشتد في الكوفة عند حركة مسلم بن عقيل وخفي على عبيد الله بن زياد موضع مسلم بن عقيل، فقام لمولى له من أهل الشام يسمى ((معقلاً)) وناوله ثلاثة آلاف درهم في كيس، وقال: خذ هذا المال وانطلق، فالتمس مسلم بن عقيل، وتأنّ له بغاية التأني.

فانطلق الرجل حتى دخل المسجد الأعظم، وجعل لا يدري كيف يتأنى الأمر، ثم أنه نظر إلى رجل يكثر الصلاة إلى سارية من سواري المسجد فقال في نفسه: **أن هؤلاء الشيعة يكثرون الصلاة و أحسب هذا منهم**[1].

فجلس الرجل حتى إذا أنفتل من صلاته قام، فدنا منه وجلس فقال: جعلت فداك أني رجلٌ من أهل الشام مولى لذي الكلاع وقد أنعم الله عليّ بحب أهل بيت رسول الله ﷺ وحب من أحبهم ومعي هذه الثلاثة آلاف درهم، أحب إيصالها إلى رجل منهم، بلغني أنه قدم هذا

السبطين، قم المقدسة.

١ - ولابد أن نتوقف عند هذه اللقطة، إذ شارة الشيعة هي الصلاة فقد اشتهر عند الجميع أن الشيعة أهل صلاة حتى لدى أعدائهم وهذه حالة مهمة في تصنيفهم، فهم أهل عبادة وتوجه إلى الله تعالى بخلاف ما يشاع عنهم اليوم بأنهم لا يهتمون بالصلاة ولا بالعبادة كما يشتغل على هذا الجهد مجموعة من الحركات الوهابية التي تقدم صورة مشوهة عن الشيعة ومذهبهم. لقد استطاع شيعة أهل البيت (عليهم السلام) بفضل أئمتهم أن يقدموا الإسلام الأصيل ضمن مشروعهم العبادي والذي لازموه منذ نشأتهم حتى يومنا هذا.

المصر داعيةٌ للحسين بن علي عليه السلام، فهل تدلني عليه لأصل هذا المال إليه؟ ليستعين به على بعض أموره، ويضعه حيث أحب من شيعته؟

فقال له الرجل: كيف قصدتني بالسؤال عن ذلك دون غيري ممن هو في المسجد؟

قال: لأني رأيت عليك سيماء الخير، فرجوت أن تكون ممن يتولى اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله قال له الرجل: ويحك قد وقعتَ عليّ بعينك، أنا رجل من أخوانك واسمي مسلم بن عوسجة، وقد سررت بك، وساءني ما كان من حبسي قبلك، فاني رجل من شيعة أهل هذا البيت عليهم السلام، خوفاً من هذا الطاغية أبن زياد، فأعطي ذمة الله وعهده، أن تكتم هذا عن جميع الناس، فأعطاه من ذلك ما أراد.[1]

فقال له مسلم بن عوسجة: انصرف يومك هذا، فان كان غد فائتني في منزلي حتى انطلق معك إلى صاحبنا فأوصلك إليه.

فمضى الشامي فبات ليلته، فلما أصبح غدا إلى مسلم بن عوسجة في منزله فانطلق به حتى أدخله إلى مسلم بن عقيل فأخبره بأمره، ودفع إليه الشامي ذلك المال وبايعه.

فكان الشامي يغدو إلى مسلم بن عقيل فلا يُحجب عنه، فيكون نهاره كله عنده، فيتعرف جميع أخبارهم، فإذا أمسى وأظلم عليه الليل دخل على عبيد الله بن زياد فأخبره بجميع قصصهم، وما قالوا وفعلوا في

---

١ - لا نريد التعليق على هذه العبارة، لكن ليتضح مدى التزام هؤلاء بالذمم والمواثيق، وقد عرفوا بغدرهم ومكرهم دون أن يمنعهم مانع ولا يردعهم رادع.

ذلك وأعلمه نزول مسلم في دار هانئ بن عروة[1].

وبهذا اكتشف عبيد الله بن زياد مفاصل حركة مسلم بن عقيل وجميع دقائق تحركاته وسكناته.

الأحداث تتوالى:

وتتصاعد وتيرة الأحداث في اكتشاف أمرٍ خطير، هو الكتاب الذي بعثه مسلم بن عقيل للإمام الحسين عليه السلام الذي كان عبد الله بن يقطر يحمله متوجهاً إلى المدينة، إلا أن الجهد ألاستخباري الذي شكله عبيد الله بن زياد فضلاً عن مفارز عسكرية كانت تجوب الكوفة وضواحيها بل حتى بواديها، فقد عثرت أحدى دوريات الجيش الأموي على عبد الله بن يقطر وهو في طريقه إلى المدينة ووصلت تفاصيل القضية إلى عبيد الله بن زياد هكذا:

فبينا عبيد الله مع القوم إذ دخل رجل من أصحابه يقال له مالك بن يربوع التميمي، فقال: أصلح الله الأمير، ههنا خبر! فقال ابن زياد: ما ذاك؟ قال: كنت خارج الكوفة أجول على فرسي، إذ نظرت رجلاً خرج من الكوفة مسرعاً يريد البادية فأنكرته، ثم أني لحقته وسألته عن حاله فذكر انه من المدينة، فنزلت عن فرسي وفتشته، فأصبت هذا الكتاب. فأخذه أبن زياد، فإذا فيه مكتوب:

---

١ - أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال: ٢٣٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

للحسين بن علي[1].. أما بعد:

فاني أخبرك أنه قد بايعك من أهل الكوفة ما ينيف على عشرين ألفاً فإذا أتاك كتابي هذا فالعجل العجل فإن الناس كلهم معك، وليس لهم في يزيد بن معاوية هوىً ولا رأي والسلام.

فقال ابن زياد: أين هذا الرجل الذي أصبت معه الكتاب؟

قال: هو بالباب.

قال ائتوني به، فأدخل.

فلما وقف بين يدي أبن زياد، قال له: من أنت.؟

قال: مولى لبني هاشم.

قال: ما أسمك؟.

قال: عبد الله بن يقطر [2].

قال: من دفع إليك هذا الكتاب؟

---

١ - الملاحظ أن الكتاب لم يحمل اسم المرسل لئلا يقع في أيدي رجالات النظام ويكتشف أمر مسلم بن عقيل عليه السلام، فقد أخفى مسلم اسمه وهذا من دقيق حكمته ودقة تحركاته.

٢ - الملاحظ من موقف عبد الله بن يقطر الشدة والبأس وعدم التقية في بيان المعلومات، فكشف عن اسمه وهويته، وكان هذا الأسلوب من مقتضيات الموقف الذي أرعب ابن زياد وتيقن من إصرار هؤلاء على مواصلة القتال والتحدي، وهو أسلوب يدخل ضمن مقتضيات المرحلة الحرجة التي تمر بها ثورة مسلم بن عقيل (ع)

قال: امرأة لا أعرفها، فضحك أبن زياد.

قال: أختر واحدة من اثنتين، أما أن تخبرني من دفع إليك هذا الكتاب أو تقتل.

فقال: أما الكتاب فأني لا أخبرك من دفعه إليّ، وأما القتل فاني لا اكرهه، لأني لا أعلم قتيلاً عند الله أعظم أجراً من قتيل يقتله مثلك، فأمر أبن زياد فضرب عنقه صبراً[1].

اتخاذ الإجراءات والتدابير المشددة:

ولم يستطع عبيد الله بن زياد أن ينتظر أكثر من ذلك فقد أحس بالخطر من نجاح الثورة وتمامها ولم يبق غير انتظار مجيء الحسين عليه السلام لتبدأ الثورة الكبرى، فعاجل الأمر ابن زياد ليحبط كل المحاولات وأستدعى هانئ بن عروة إلى قصر الإمارة ((وخاف هانئ من عبيد الله بن زياد على نفسه، فانقطع عن حضور مجلسه وتمارض))[2].

فسأل عنه ابن زياد فقيل، هو مريض، فقال: لو علمت بمرضه

---

١ - مقتل الحسين (ع) للخوارزمي ١: ٢٠٣.

٢ - الظاهر أن الأحداث أخذت تتصاعد، وان إجراءات أمنية اتُخذت ضد حركة مسلم وكان عامل الشك والريبة بدأ في تزايد، واتخاذ هانئ بن عروة لقرار عدم زيارة عبيد الله بن زياد بدافع تجنب الاحتقان بل والشك الذي كان لدى عبيد الله بن زياد ضد هانئ وغيره، فكان قرار هانئ الانعزال عن مجالسة عبيد الله بن زياد ريثما يصل الإمام الحسين (ع) إلى الكوفة، فهي مسألة وقت لا أكثر للانقضاض على عبيد الله بن زياد فان التجهيزات كلها قد أكملت ولم يبق غير الانتظار والتحسبات الطارئة.

لعُدتهُ. ودعا محمد بن الأشعث وأسماء بن خارجة وعمرو بن الحجاج الزبيدي وكانت رويحة بنت عمرو هذا تحت هانئ[1].

فقال لهم ما يمنع هانئ من إتياننا؟

فقالوا: ما ندري وقد قيل أنه مريض.

قال: قد بلغني ذلك، وبلغني انه بريء، وانه يجلس على باب داره[2] فألقوه ومروه أن لا يدع عليه من حقنا، فأنه لا أحب أن يفسد عندي مثله من أشراف العرب...

ويضيف المصدر أنهم طلبوا منه المجيء: فدعا (هانئ) بثيابه فلبسها، ثم دعا ببغلته فركبها، حتى أذا دنا من القصر كأن نفسه أحست ببعض الذي كان، فقال لحسان بن أسماء بن خارجة: يابن الأخ أني واللهِ لهذا الرجل لخائف، فما ترى؟

قال: يا عم واللهِ ما أتخوف عليك شيئاً فلا تحدثن عن نفسك بشيء من هذا، ولم تجعل على نفسك سبيلاً، ولم يكن حسان يعلم مما كان

---

١ - والأصح أن رويحة هي اخت عمرو بن الحجاج كما عن السيد المقرم وغيره وهو الأنسب لعمر هانئ بن عروة الذي بلغ التسعين والمفروض أن زوجته تقاربه في العمر، ولم يبلغ عمرو بن الحجاج عمرا يقارب ما بلغه هانئ بن عروة (رض).

٢ - هذا أمر بعيد أن يجلس هانئ في باب داره وهو يعيش في معترك هذه الظروف الطارئة فلربما كانت تلك مناورة من عبيد الله بن زياد ليجعلها حجةً ضد هانئ ليلقي عليه القبض ويأخذه بجريرة المقاطعة والتحشيد ضده، أو لعل احداً وشي بهانئ عند عبيد الله بن زياد زوراً للانتقام من هانئ على يد عبيد الله بن زياد الذي كان متربصا به.

شيئاً، وكان محمد بن الأشعث عالماً به[1].

وقد صدق هانئ حدسه وصحت ظنونه وهواجسه، فان عبيد الله بن زياد قد دبر له في ليل وحمله ما وشيَ بهانئ أن يتجرأ عليه ويناجزه ((فجاء هانئ والقوم معه حتى دخلوا على عبيد الله، فلما طلع نظر إليهم من بعيد قال عبيد الله لشريح القاضي وكان جالساً عنده:

أتتك رجـلاه تسعـــى   يقود النفس منها للهوانِ

فلما دنا من أبن زياد التفت إلى شريح وأشار إلى هانئ وأنشد بيت عمرو بن معد يكرب الزبيدي:

أريد حياته ويريد قتلي   عذيرك من خليلكِ من مرادِ

فقال له هانئ: وما ذاك يا أمير؟

قال: ايه يا هانئ ما هذه الأمور التي تربص في دارك لأمير المؤمنين وعامة المسلمين؟ جئت بمسلم بن عقيل فأدخلته دارك وجمعت له الجموع والسلاح في الدور حولك وظننت أن ذلك يخفى عليّ.

قال: ما فعلت ذلك، وما مسلم عندي،

قال: بلى قد فعلت.

فلما كثر بينهما، وأبى هانئ إلا مجاحدته ومناكرته، دعا ابن زياد ((معقلاً)) ذاك اللعين، فقال: أتعرف هذا؟

قال: نعم.

وعلم هانئ عند ذلك انه كان عيناً عليهم، وأنه قد أتاه بأخبارهم

---

١ - لبيب بيضون، موسوعة كربلاء ١: ٤٧٧.

فسقط في يده ساعة ثم راجعته نفسه[1].

وفي رواية الذهبي أن أخبار محاولة الفتك بعبيد الله بن زياد في دار هانئ قد وصلت إلى ابن زياد ((وقدم مع عبيد الله شريكُ الأعور شيعي فنزل على هانئ بن عروة، فمرض فكان عبيد الله يعوده فهيّأوا لعبيد الله ثلاثين رجلاً ليغتالوه فلم يتم ذلك، وفهم عبيد الله فوثب وخرج فنمّ عليهم عبدٌ لهانئ فبعث إلى هانئ - وهو شيخ- فقال: ما حملك على أن تُخبر عدوي؟

قال: يا ابن أخي جاء حق هو أحقُ من حقك، فوثب إليه عبيد الله بالعنزة حتى غرز رأسه بالحائط[2])).

ورواية لواعج الأشجانِ تكمل المشهد الدامي الذي ارتكبه ابن زياد في حق شيخ الكوفيين الذي ناهز عمره الحادية والتسعين عاماً فلم تُراعَ حرمته ولا مكانته، ومشاهد الرواية هكذا:

ثم قال أبن زياد: واللهِ لتأتيني به أو لأضربن عنقك، فقال هانئ: إذن والله لتكثر البارقة حول دارك.

فقال ابن زياد: وا لهفاه عليك أبالبارقة تخوفني! وهانئ يظن أن عشيرته يسمعونه.

ثم قال: أدنوه مني، فأدني منه، فاستعرض وجهه بالقضيب، فلم يزل يضرب به أنفه وجبينه وخده، حتى كسر انفه وسالت الدماء على

---

١ - السيد محسن الأمين، لواعج الأحزان: ٤٤.

٢ - الذهبي، سير أعلام النبلاء ٣: ٢٥٦، دار إحياء التراث العربي بيروت ط ١ ٢٠٠٦.

ثيابه ووجهه ولحيته،ونثر لحم جبينه وخده على لحيته، حتى كسر القضيب. وضرب هانئ بيده على قائم سيف شرطي وجاذبه الشرطي ومنعه من ذلك السيف.

فصاح ابن زياد: خذوه، فأخذوه وألقوه في بيت من بيوت القصر، وأغلقوا عليه الباب، فقال: اجعلوا عليه حرساً ففعل ذلك به.

ثم وثب أسماء بن خارجة فقال له: أيها الأمير، أرُسُل غدرِ سائر اليوم، أمرتنا أن نجيئك بالرجل، حتى إذا جئناك به هشمت أنفه ووجهه، وسيلت دماءه على لحيته، وزعمت أنك تقتله!

فقال له عبيد الله، وأنك لههنا؟

فأمر به فضرب وأجلس ناحية، فقال: **إنا لله وإنا إليه راجعون إلى نفسي أنعاك يا هانئ**[1].

وبلغ ذلك بني مذحج فركبوا بجمعهم وعليهم عمرو بن الحجاج الزبيدي فوقفوا بباب القصر، ونادى عمرو: يا عبيد الله هذه فرسان مذحج لم تخلع طاعة ولم تفرق جماعة، فلم تقتل صاحبنا، فقال أبن زياد لشريح القاضي أدخل على صاحبهم فانظر إليه ثم أخرج إليهم فأعلمهم أنه لم يقتل، قال شريح: فدخلت عليه فقال ويحك هلكت

---

١ - لكن هذا الموقف الجبان والمتخاذل لا يبرر لهؤلاء الكوفيين من أنصار بني أمية ما خدعهم به عبيد الله بن زياد ثم أهانهم وهزئهم، فأسماء بن خارجة الذي يدعي الشرف والوجاهة غابت عنه وهو بين يدي ابن زياد يُضرب ويُهان دون أن تحركه كرامته ورجولته المفقودة في خضوعهم لهذا النزِق ابن زياد وهم يحومون جميعهم حول موائده المذلة لهم ولكرامتهم المدعاة.

عشريتي، أين أهل الدين فلينقذوني من يد عدوهم وأبن عدوهم، ثم قال: والدماء تسيل على لحيته، ياشريح هذه أصوات عشيرتي ادخل منهم عشره ينقذوني، فلما خرجت تبعني حمير - حمران- بن بكير وقد بعثه أبن زياد عينا علي، فلولا مكانه لكنت أبلغ أصحابه ما قال، ثم خرج شريح فقال: **يا هؤلاء لا تعجلوا بالفتنة فأن صاحبكم لم يقتل، فأنصرف القوم**[1]. وفي نسخة قال عمرو بن الحجاج وأصحابه: **أما إذا لم يُقتل فالحمد لله**[2].

الكوفيون من بني أمية هم أل الغذر والخذلان:

وتتضح أمامنا حالةُ التخذيل التي قام بها عمرو بن الحجاج الذي نحتمل أن يكون قد كُلّف بهذه المهمة سلفاً، حيث كان يمثل دور الساخط على ابن زياد، في حين حاول أن يقود معارضة المذحجيين إلى قصر الأمارة امتصاصاً لنقمتهم، وتأميناً على معارضتهم من أن تنقلب لصالح هانئ بن عروة فيتمكنون من اقتحام القصر والانقضاض على عبيد الله بن زياد واستنقاذ شيخهم، إلا أن ذلك لم يتم لموقف عمرو بن الحجاج الذي استطاع أن يصرفهم عن نصرة هانئ ويفت في عضد مذحج المتأهبة لأي طارئ، ومما يساعد هذا الرأي نداء عمرو بن الحجاج لابن زياد: ((يا عبيد لله أنا عمرو بن الحجاج وهذه فرسان مذحج ووجوهها لم تخلع طاعة ولم تفرق الجماعة فلمَ تقتل صاحبنا؟!)) وهذه محاولة لزج

---

١ - الخوارزمي: مقتل الحسين (ع) ١: ٢٠٥ مطبعة الزهراء النجف ١٩٤٨م.

٢ - لبيب بيضون، موسوعة كربلاء ١: ٤٨٠، قم ١٤٢٧.

المذحجيين لتأييد عبيد لله بن زياد على لسان عمرو بن الحجاج المعروف بولائه الأموي والذي تزعم الميمنة في حرب الحسين عليه السلام، وكلامه هذا يُنبئ عن تواطؤ مسبق بينه وبين عبيد الله لإفشال جهود المذحجيين في فك الحصار عن هانئ وتسجيل موقف الولاء المزعوم لابن زياد من قبل مذحج، والمعروف أن إرجاعهم بهذه السهولة عن قصر الأمارة دون مطالبة بمشاهدة هانئ والاطمئنان على سلامته، ثم إرجاعهم بعد ذلك وتفريق جمعهم دون اتخاذ أي أجراء لازم يضمن سلامة هانئ، دليل على تواطؤ عمرو بن الحجاج مع ابن زياد لإفشال حركة مذحج وانقاد شيخها الحبيس، وبذلك فقد أستطاع عمرو بن الحجاج انقاذ ابن زياد وإفشال أي خطة كوفية في حركتها المسلحة ضد النظام الأموي المهزوم.

على أن موقف شريح القاضي ذلك المتآمر على مسلم وخيانته لله ولرسوله عاملٌ أخر في فت عضد المناصرين للثورة وإحباط جميع خطط تحركاتها وبرامجها المتيقنة النصر لولا هؤلاء عملاء السلطة وفقهاء النظام.

استنقاذ الموقف:

ولم يجدِ توقيت الثورة نفعاً بعد ذلك، فعلى القيادة التي تداهمها الأحداث الطارئة أن تُباغت العدو في ردها السريع وهي وإن تنقذ الموقف إلا أنها ستخسر خططها المرسومة وتتغير في تحقيق أهدافها المرجوة، وهكذا هو مسلم بن عقيل القائد المحنك في استنقاذ الموقف واتخاذ إجراءات الخطط البديلة يسارع الآن في إعلان ثورته الفتية التي لم تكتمل خططها بعد، فهي في انتظار قدوم الإمام الحسين عليه السلام الذي سينفّذ

الثورة ويأخذ على عاتقة إنجاحها، إلا أن الظرف الطارئ باغت مسلم في اتخاذ القرار المفاجئ الذي أحبط أكثر الخطط وبقي يحافظ على استنقاذ الموقف الذي لا بد أن يدخره مسلم بن عقيل لثورة الإمام الحسين عليه السلام.

وبدأت الأحداث تتسارع والأمور تتوالى في إعلان مسلم عن ثورته والبدء في حركته، وذلك بعد ان وجد مسلم هانئا في قبضة العدو وهو يستعرض وجهه بالقضيب ولم يراعِ له حرمة، وبعد ان تراجعت مذحج عن اتخاذ الموقف المناسب في تحرير شيخها هانئ بفعل مؤامرة عمرو بن الحجاج المتقدمة فإن مسلماً الآن لابد ان يتخذ الإجراءات اللازمة لئلا يتفاقم الموقف في غير صالح أنصاره الذين يواجهون مؤامرات التيار الأموي الجاثم في الكوفة، فضلا عن ان لا يؤخذ مسلم غيلة أو يقع في قبضة ابن زياد أو عملائه من بني أمية الكوفيين المتوثبين للوقيعة بمسلم في كل آن، فكان خروج مسلم ومباغتة ابن زياد أمراً في غاية الأهمية والحكمة.

مسلم وتعامله مع خبر اعتقال هانيء:

وينتفض مسلم بن عقيل بثورته على خلفية تداعيات اعتقال هانئ، وإلاّ فإن ذلك يُعد إعطاء فرصة غير متوقعة لعبيد الله بن زياد لبسط نفوذه فإنّ قيامه بهذه الحركة سيكون إحباطاً لجهود عبيد الله بن زياد وللروح الأموية كذلك، وإنعاشا لأمل الثوار الكوفيين الذين يتربص بهم ابن زياد فيما إذا نجحت خطة اعتقال هانئ بن عروة، وسنجد أن مسلما قد أحاط مقر اقامته - وهو بيت هانئ بن عروة - بقوات طوارئ

تعدادها أربعة آلاف مقاتل ((وقد ملأ بهم الدور حوله)) كما في النص التالي، مما يعني ان مسلماً قد اتخذ إجراءات تامة تحسباً للطوارئ التي قد تحصل في مثل هذه الظروف الاستثنائية وستقرأ النص التالي الذي يصور لنا مجريات الأحداث الحاسمة.

قال عبد الله بن حازم: أنا والله رسول ابن عقيل إلى القصر لأنظر ما فعل هانئ، فلما ضُرب وحُبس ركبت فرسي فكنت أول داخل الدار على مسلم بن عقيل بالخبر، فإذا نسوة من مراد مجتمعات ينادين: ياعبرتاه، ياثكلاه!

فدخلت على مسلم فأخبرته الخبر، فأمرني أنادي في أصحابه، وقد ملأ بهم الدور حوله، وكانوا فيها أربعة آلاف، فقال لمناديه نادِ:

((يا منصور أمت)) وكان ذلك شعارهم. فنادى أهل الكوفة واجتمعوا عليه.

فاجتمع إليه أربعة آلاف، فعقد لعبد الله بن عزيز الكندي على ربع كندة وربيعة، وقال: سر أمامي في الخيل، وعقد لمسلم بن عوسجة ألأسدي على ربع مذحج وأسد، وقال: أنزل في الرجال. وعقد لأبي ثمامة ألصائدي على ربع تميم وهمدان، وعقد للعباس بن جعد – أبو هبيرة- الجدلي على ربع المدينة، وعبأ ميمنته وميسرته ووقف هو في القلب[1].

عبيد الله بن زياد يقطع خطبته وينهزم:

كان الجيش الثوري الزاحف بقيادة مسلم بن عقيل قد أربك أبن

---

١ - د.لبيب بيضون، موسوعة كربلاء ١: ٤٨١.

زياد ولم يستطع مع إقباله عليه أن يتم خطبته، فكانت خطبته تحذيراً للكوفيين وإظهاراً لقوته المزعومة وفرضاً لسيطرته، وبياناً لهيمنة دولته.

ففي خضم الإجراءات العنيفة التي أتخذها ابن زياد في جانب هانئ بن عروة والاعتداء الذي لاقاه هانئ منه، خشي نقمة الناس وخصوصاً مذحج التي وفدت على قصر الأمارة، فأراد أبن زياد أن يستبق الأحداث ((فخرج حتى دخل المسجد الأعظم فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، فنظر إلى أصحابه عن يمين المنبر وشماله في أيديهم الأعمدة والسيوف المسلة فقال:

((أما بعد يا أهل الكوفة فاعتصموا بطاعة الله وطاعة رسول الله وطاعة أئمتكم، ولا تختلفوا وتفرقوا، فتهلكوا وتندموا، وتذلوا وتقهروا، وتحرموا، ولا يجعلن أحدٌ على نفسه سبيلاً وقد أعذر من أنذر، فما أتم الخطبة حتى سمع الصيحة، فقال: ما هذا؟ فقيل له: أيها الأمير الحذر الحذر، فهذا مسلم بن عقيل قد أقبل في جمع ممن بايعه، فنزل عن المنبر مسرعاً، وبادر حتى دخل القصر وأغلق الأبواب))[1].

وتُعد هذه الهزيمة بارقةُ أمل وبدايةُ نصر محتوم أحرزه مسلم بن عقيل في إعلانه المبكر عن ثورته، إلا أن الأحداث تتوالى بشكلٍ لا يسمح لهذا النصر أن يستمر في طريق حصاد النتائج المرجوة، وتتسلل المفاجئات بشكلٍ غير متوقع يُحبط الخطط والنتائج.. إلا أن ذلك لم يثبّط من عزيمة مسلم، فهو الآن بين خيارين، بين القعود وانتظار ما تفرزه الأحداث من مفاجئات تنتهي بالأمر وبشكل مؤكد إلى القبض على

---

١ - الخوارزمي: مقتل الحسين (ع) ١: ٢٠٦.

مسلم بن عقيل وإفشال حركته والقضاء على أصحابه واحداً بعد واحد، وبين القيام بثورته ومعاجلة الأحداث القادمة من وراء المفاجئات وتغير المواقف.

الزحف المقدس:

ويتوجه مسلم بن عقيل بجموعه إلى قصر الإمارة ليضيّق الخناق على أبن زياد ويقتحم كل الإجراءات المضادة ليزحف بجيشه إلى حيث أراد أن يبطش بعدوه.. ((أقبل مسلم بن عقيل في وقته ذلك ومعه ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون[1] وبين يديه الإعلام والسلاح الشاك وهم في ذلك

---

١ - نحن نتحفظ على هذا الرقم فالثمانية عشر ألف اجتمعوا إلى مسلم بن عقيل بنداءٍ مفاجئ لم يتوقعوا أن تكون الثورة العسكرية بقيادة مسلم بن عقيل، لأنهم أعطوا البيعة إلى الحسين ولم يكن هناك اتفاق مسبق على هذا التوقيت، وان كان هناك اتفاق مسبق على تحرك عسكري في الكوفة، فلم يكن هناك اتفاق مسبق على موعد الحركة العسكرية التي حشد لها مسلم بن عقيل بشكل مفاجئ، فاجتماع ثمانية عشر ألف في ساعة واحدة بعيد عادةً وهو مقتضى التجمعات الشعبية الجماهيرية، إذ لم يكن هذا التجمع لجيش نظامي يستجيب لمجرد نداء عسكري واحد، فالعدد إذن لا يمكن أن يكتمل إلى الثمانية عشر ألف، ولعل العدد كان اقل بقليل جداً، فلعله ناهز المئة أو المئتين على أحسن الأحوال، وتفرق القوم بهذه السهولة وانتشار التخاذل والتواكل بينهم أمراً ليس ببعيد، وعدم إمكانية اجتماع عدد آخر لنصرة مسلم بن عقيل في خضم طوق امني مشدد انتشر فيه رجالات ابن زياد حتى انهم كانوا بمجرد العثور على رجل مسلح يُقدّم إلى ابن زياد فتضرب عنقه وهكذا استطاع ابن زياد أن يوقف أي نشاط عسكري معارض له ولصالح مسلم بن عقيل.

يشتمون أبن زياد ويلعنون أباه وكان شعارهم ((يا منصور أمت)) وكان قد عقد مسلم بن عقيل لعبد الله الكندي على كندة، وقدمه أمام الخيل، وعقد لمسلم بن عوسجة على مذحج وأسد، وعقد لأبي ثمامة بن عمر الصائدي على تميم وهمدان وعقد للعابس بن جعدة الجدلي على أهل المدينة، وأقبل مسلم يسير حتى خرج في بني الحرث بن كعب ثم خرج على مسجد الأنصار حتى أحاط بالقصر، وليس في القصر إلا نحو من ثلاثين رجلاً من الشرطة ومقدار عشرين من الأشراف وأهل بيته ومواليه، وركب أصحاب ابن زياد واختلط القوم فاقتتلوا قتالاً شديداً[1]، وابن زياد في جماعة من الأشراف قد وقفوا على جدار القصر ينظرون إلى محاربة الناس[2].

عداد الجيش الأموي ـ الكوفي:

إلا أننا نتساءل عن عداد الجيش الأموي في الكوفة، وقد عُرفت الكوفة بأنها المعسكر الذي يجهز الجيش الإسلامي بالقوات الفاتحة

---

١ - إن قتال هؤلاء النفر من أصحاب ابن زياد لا يعني أنهم بدافع العقيدة والقناعة بما هم يقيمون عليه، بل كان الأمر لاستنقاذ ما في أيديهم، وإنقاذ أنفسهم من الهلكة ان نجح مسلم بن عقيل في ثورته، فهم بين خيارين اما القتل على يد مسلم بن عقيل وإما القتل مع ابن زياد ليسجّلوا موقف النصرة للنظام الأموي، وهم مع يأسهم من تحقيق النصر إلا أن ذلك لا يمنعهم من إبداء المقاومة لان الاستماتة من اجل إنقاذ وجودهم وكيانهم المتبقي ببقاء بني أمية دفعهم لخوض الجولة اليائسة.. والأخيرة.

٢ - الخوارزمي، مقتل الحسين ١: ٢٠٦.

والجيوش الغازية ((وكان التجنيد في عهد الخلفاء الأمويين إلزامياً من اجل الفتح الإسلامي، لكنه فقد عنصر الإلزام أو كاد بعد النكسة التي سببتها الحروب الأهلية، وصار المال أداة التجنيد في الدولة الأموية، وارتفع صوت الذهب فوق كل صوت، فكان الخليفة تكثر أجناده أو تقل، تبعا لكثرة المال في خزائنه أو قلته، وصار الخلفاء يسترضون الجنود بصرف الأموال مقدّماً، وعزل من يطلبون عزله من الولاة.

ولم تقف روح التهرب من الجندية عند حد، بل سرت عدواها إلى الأمصار،حتى إلى (البصرة والكوفة) وهما المعسكران اللذان كانا مصدر المدد الحربي للمسلمين، ومنهما اتجهت الجيوش شرقاً حتى اقتحمت على الفرس عاصمتهم، ووطدت قدم الإسلام فيما وراء النهر إلى حدود الصين، حتى بلغ عدد الجند في خراسان وحدها أيام قتيبة بن مسلم أربعين ألفاً - كما في رواية ابن الأثير - عدا ما كان في غيرها من المقاطعات الفارسية[1].

هذا إذا ما أضفنا إليه أن عبيد الله بن زياد لم يأتِ منفرداً وهذه شبهة حاولوا تثبيتها بأن عبيد الله بن زياد دخل الكوفة وحده محاولين إغداق صفة الشجاعة والتحدي عليه كما كان مسلم بن عقيل دخل الكوفة وحده متحدياً للحكومتين المحلية برئاسة النعمان بن بشير الأنصاري والمركزية بزعامة يزيد بن معاوية، في حين تشير المصادر إلى أن عبيد الله بن زياد دخل الكوفة قادماً من البصرة مع مؤيديه أو ممن أخذهم عنوةً من الأشراف ((فتعجل ابن زياد المسير إلى الكوفة مع

---

١ - عبد الرؤوف عون، التجنيد في الدولة الإسلامية: ١٠١.

مسلم بن عمرو الباهلي والمنذر بن الجارود وشريك الحارثي وعبد الله بن الحارث بن نوفل في خمسمائة رجل انتخبهم من أهل البصرة..))[1] ويضيف الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء بأنه ((خرج مع حشمه وأهله))[2] فضلا عن الحرس الذي كان متواجداً في قصر الإمارة والتابع للوالي النعمان بن بشير، والحرس الذي كان يحيط بالقصر، كل هؤلاء وغيرهم يضيف إلينا أن عبيد الله بن زياد لم يكن يعاني من قلة المناصرين له والمقاتلين معه خلافاً للنص الذي بين أيدينا والذي يشير إلى أن الذين معه كانوا ثلاثين من الشرطة وعشرين من الأشراف، وهذا لا يتناسب مع معطيات الوضع الكوفي الأموي المحتشد بالمناصرين والقوات الموالية لبني أمية. من هنا نعرف أن القوة التي يمتلكها عبيد الله بن زياد كانت كافية لمواجهة الثوار بقيادة مسلم بن عقيل والتي أحبطت محاولة فك الحصار عن هانئ بن عروة وحالت دون تحقيق النصر المرتقب.

الإعلام المضاد يكسب الجولة.. والقتال يخسر المراهنة..

لم يكد القتال ينتهي إلا بخسارة أصحاب ابن زياد الذين تورطوا في منازلة الثوار، ولم يستطيعوا الانسحاب لأن ذلك انهزامٌ تُسجله أجهزة النظام، ولم يبق من إعلان النصر المحتوم إلا دخول مسلم القصر واقتحامه على عبيد الله المتحصن هو وبعض الأشراف المنتمين إلى الخط الأموي، ولم يبق أمام عبيد الله بن زياد سوى الهزيمة لينجو بنفسه وهو يشرف على

---

١ - المقرم، مقتل الحسين (ع): ١٦٤.

٢ - الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، المجالس الحسينية: ٨٥.

تفاصيل المعركة من أعلى القصر، ليعلم ما إذا اقتضى الأمر للفرار من قبضة الثوار ومسلم بن عقيل يقود الجموع الزاحفة التي طوقت القصر، حتى إذا قرب النصر لم يبق أمام أصحاب عبيد الله بن زياد سوى الخديعة - وهي عادة أسلافهم في حروبهم - مع علي بن أبي طالب عليه السلام حيث أنقذتهم عوراتهم من الموت المحتوم - فاستنجدوا بالإعلام الكاذب الذي أعلن وصول الجيش الشامي وانه على مشارف الكوفة، وبين الترغيب والترهيب كانت صيحات المهزومين تتصاعد.

((وجعل رجلٌ من أصحاب ابن زياد يقال له كثير بن شهاب، ومحمد بن الأشعث، والقعقاع بن شور، وشبث بن ربعي، ينادون فوق القصر بأعلى أصواتهم: ألا يا شيعة مسلم بن عقيل، إلا يا شيعة الحسين بن علي، الله الله في أنفسكم وأهليكم وأولادكم فأن جنود أهل الشام قد أقبلت وأن الأمير عبيد الله زياد قد عاهد الله لئن أقمتم على حربكم ولم تنصرفوا من يومكم هذا، ليحرمنكم العطاء وليفرقن مقاتلكم في مغازي أهل الشام، وليأخذن البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، حتى لا يبقى منكم بقية من أهل المعصية إلا أذاقها وبال أمرها، فلما سمع ذلك الناس جعلوا يتفرقون، ويتخاذلون عن مسلم بن عقيل ويقول بعضهم لبعض، ما نصنع بتعجيل الفتنة، غداً تأتينا جموع أهل الشام، فينبغي أن نقعد في منازلنا وندع هؤلاء القوم حتى يصلح الله ذات بينهم، وكانت المرأة تأتي أخاها وأباها أو زوجها أو بنيها فتشردهُ،ثم جعل القوم يتسللون والنهار يمضي، فما غابت الشمس حتى بقي مسلم بن عقيل عليه السلام في عشرة من أصحابه[1])).

---

١ - الخوارزمي، مقتل الحسين (ع) ١: ٢٠٦.

تحليل الموقف:

إن الوقوف على مجريات الأحداث المتسارعة في محاولة أصحاب عبيد الله بن زياد لإنقاذ الموقف يتركز على الإعلام المضاد الذي تتبعه الكثير من الأنظمة من أجل أيجاد مخرجٍ للمواقف الحرجة التي تمر بها أنظمتها وذلك بعد أن تستشعر الهزيمة في المواجهة، وهي تحاول لململة قواها المتعثرة مما دعى أجهزة النظام أن تتخذ إجراءاتٍ تعسفية في ظل هزيمتها أمام قوات الثوار الزاحفين باتجاه قصر الإمارة، وكان الموقف يرسمُ لنا المشاهد التالية:

المشهد الأول:

استغلت المجموعة المنهزمة من أصحاب عبيد الله بن زياد توظيف هزيمتها في صالح الموقف المتدهور لعبيد الله بن زياد الذي بات الفرار أنسب الحلول له في هذه الدقائق الحرجة، وكانت محاولة يائسة يطلقها هؤلاء في النداء وتصعيد الموقف الأعلامي المضاد والنداءات المخادعة التي تحتال على المشاعر الهائجة، والوجدانيات المتحمسة في إحراز النصر لصالح حركة مسلم بن عقيل.

المشهد الثاني:

طغى على النداء لهجة الناصح المشفق وذلك من خلال مخاطبة الثوار((ألا يا شيعة مسلم بن عقيل، ألا يا شيعة الحسين بن علي الله الله في أنفسكم وأهليكم وأولادكم..)) وهذه اللهجة الحريصة على إظهار

النصح والشفقة والبعيدة عن لغة الشتم والانفعال أثرت في نفوس القوم، وبدى لهم إن هذه النداءات تُطلق من صديقٍ ناصح، وليس من عدوٍ مخادع، فاستسلمت مشاعر الثوار إلى هذه اللهجات الناصحة وامتصت نقمة الحماس والتحدي.

المشهد الثالث:

تلت هذه النصائح تحذيرات تبدو وكأنها حقيقية، فأردف النداء التحذير من جيش الشام القادم وهذا هو سبب استصراخ الثوار في حفظ أنفسهم وأهليهم وأولادهم، وهذه الموارد إذا صور للإنسان مخاطر هلاكها وعواقب انتهاكها تراجعت حماسة النفس وغليانها وأخذت تنظر إلى البعيد من الأمور دون أن توقع أعز ما لديها في الهلكة فهي عندئذ تتخذ القرارات الكفيلة في حفظها وتجنيبها المخاطر، لذا فان النداء صوّر أن جيش الشام سيستبيح الحرمات ويعطب النفوس ويبيد الأهلين، فهم - أي بعض الثوار - غير مستعدين للتضحية طالما ستتعرض حرماتهم إلى المخاطرة وهم سيتنازلون عن قراراتهم حينئذٍ ليتولى الأمر غيرهم، ونحن نتصور حراجة الموقف، فالكوفيون لم يكونوا حديثوا عهدٍ بالانتهاكات المستمرة التي يفتعلها النظام الأموي، فقد مروا بتجارب مريرة في عهد الأمويين الذين لم يراعوا الحرمات، ولم تمنعهم أي ذمة حتى يستبيحوا كل محذور، وكانت تجربة الشيعة في هذا المضمار من اشد التجارب وأقسى المحن.

المشهد الرابع:

حذّروا من نقمة عبيد الله بن زياد المهزوم ليصوروهُ بأنه المهمين على الأوضاع والماسك زمام المبادرة بيده، وهو عازمٌ على حرمان العطاء واتخاذ الإجراءات اللازمة، والعقوبات الصارمة وأشدها أمران:

١ ـ الحرمان من العطاء، وهنا سيتعرض إلى وضعٍ اقتصاديٍ سيء وهو غير مستعدٍ للتفريط بقدراته المادية وحرمان عائلته ومعاناتهم، فالكوفة قطاعٌ حربي أي يعتمد على الخدمة العسكرية للدولة، غير زراعي ولا صناعي، وأفراده يعتمدون على عطاء الدولة لانتسابهم إلى القطاع العسكري الذي بإمكان النظام أن يعاقب المنتسب له بشتى العقوبات، وبذلك فتمرد أي شخص من هؤلاء سيعرضهم إلى عقوبات عسكرية صارمة، ومالية قاسية، على أننا لا نغفل حالة الفقر المتعمد التي انتشرت في أرجاء الكوفيين، فقد عمد النظام الأموي إلى سياسة التجويع والحرمان والتي ورثها من عثمان بن عفان، فقد كان الجند يرتزقون على الفتوحات، ويقاتلون على العطاء الذي تجلبه فتوح تلك المنطقة أو مردودات هذه الغزوة في حين سنَّ عثمان بن عفان مصادرة جهود المقاتلين بمصادرة الفيء الذي يحصل عليه المقاتل ((ومن جانبٍ ثانٍ تكونت طبقة أخرى فقيرة لم تمتلك أرضاً ولا مالاً ليس لها عطاءات ضخمة، تلك هي طبقة الجنود المقاتلين وأهلهم وذراريهم، وقد تكوّنت باستئثار الخليفة وعماله بالفيء والغنائم وحرمان المقاتلين منها، مدعين أن الفيء لله لا للمحارب إلا أجرٍ قليل يُدفع إليه، وقد قال الخليفة عثمان متحدياً عن أموال بيت المال: لنأخذنّ حاجتنا من هذا الفيء وان

رغمت أنوف أقوام.. من جانبٍ آخر فإن هناك من ولاة عثمان من تعامل مع الأراضي المفتوحة على أنها أملاك لقريش،فالسواد ((سواد العراق)) فهو على تعبير سعيد بن العاص والي عثمان على الكوفة ((بستان قريش ما شئنا أخذنا منه، وما شئنا تركناه))، فقال له الاشتر: تزعم أن السواد الذي افاءه الله علينا بأسيافنا بستان لك ولقومك؟ وتكلم القوم معه.[1]

وهنا إشارة إلى سوء الأحوال المعيشية الكوفية التي حاول معاوية بن أبي سفيان اختلاقها لإخضاع الكوفة إلى سطوته، وحاجتها إلى الحاكم دائما، لئلا تنفك عنه أو تتحرر من هيمنته. والعامل المادي كان من أهم الدواعي لتخاذل الناس عن مسلم بن عقيل حينما سمعوا بتهديدات عبيد الله بن زياد وأزلامه في حرمانهم من العطاء.

٢ ـ التحذير من إبعادهم إلى معسكرات الثغور الشامية ((وليفرقن مقاتلتكم في مغازي أهل الشام)) أي سيعمد إلى نقل الجنود الكوفيين المنتسبين للسلطة إلى الثغور الشامية وعلى الحدود الرومية، وهي عملية إبعاد شاقة لا يتحملها المقاتل، وبذلك سيفقد المقاتل وطنه ويتحمل الإبعاد والغربة بشكلٍ لا يُطاق.

فالتركيز على هاتين العقوبتين كان له الأثر في تراجع الاندفاع الذي يحمله الثوار.

١- آمنة محمد: الكوفة بين الولاء والغدر:٢٧، مؤسسة العارف للمطبوعات بيروت ٢٠٠١.

المشهد الخامس:

شدد النداء على العقوبات العشوائية التي يتبعها أي نظامٍ مستبد يحيل الحياة إلى صخب غوغاء ليذهب البريء بذنب غيره:-

((وليأخذن البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب)) وهذه الأحكام الجائرة العشوائية ستعم الجميع دون استثناء، والكوفيون - كما قدمنا - أصحاب تجربة مع التدبيرات الأموية الأمنية التي لا ترحم في هتك الأعراض وبطش النفوس.

المشهد السادس:

أشيعت روح الانهزامية بين صفوف الثوار حتى ((يقول بعضهم لبعض ما نصنع بتعجيل الفتنة، وغداً تأتينا جموع الشام فينبغي أن نقعد في منازلنا، وندع هؤلاء القوم حتى يصلح الله ذات بينهم)) ولم تكن هذه المقالات عفوية نابعة من الحالة التي عاشتها انهزامية الكوفيين، بل أن عناصر - على ما يبدو - بُثت في أوساط الثوار ليشيعوا هذه المقالات ويصوروا حراجة الموقف وعظم العواقب السيئة إذا دخل الشاميون، وبذلك ((كانت المرأة تأتي أخاها وأباها أو زوجها أو بنيها فتشرده)) أي كان العنصر النسائي حاضراً في الأحداث لكن بجهده السلبي، أي ساهمت المرأة بجهد التخذيل والانهزامية للروح المقاتلة، فهي بقدر ما تكون حاضرة في رفد الروح المقاتلة بالتفاؤل والاندفاع نحو تحقيق الأهداف حتى لو كلف ذلك بذل النفوس، إلا أنها تستطيع - وبكل سهولة - أن تقلب هذه المعادلة بشكلها المعكوس؛ فتوظف عاطفتها من

أجل ارتكاب حماقة الانهزام في أي موقف، أو الإصرار على النصر لأي هدف ترغب في تحقيقه.

المشهد السابع:

إن أصحاب النداءات التي أطلقت كانت من الخوارج بل من رؤوسهم أمثال: كثير بن شهاب، محمد بن الأشعث، القعقاع بن شور، شبث بن ربعي، وهؤلاء شكلوا خطاً متشدداً عنيفاً، حاولوا توجيه الأوضاع على أساس طموحاتهم التي تنشد إسقاط الخط العلوي وضربه بالخط المعارض واحتواء حركة الثوار الكوفيين بزعامة مسلم بن عقيل ومعروف أن هؤلاء واجهوا الأحداث باتجاهٍ مخالفٍ لأهل البيت عليهم السلام وشكلوا الحالة المعارضة في حجب النصر عن الثورة وانتزاعه لصالح الأمويين الذين يعتبرونهم المنفذين الحقيقيين لطموحاتهم وتوجهاتهم، وهؤلاء في الحقيقة هم الخط الكوفي المتخاذل الذي أعطى الصورة السيئة للموقف الكوفي العام والذي صورته دراسات المحققين بالكوفة المتخاذلة، في حين ان شيعة علي والحسين (عليما السلام) المناصرون لخطهم، والمصرّون على موقفهم الشجاع.

الإعلام المضاد.. المرحلة الثانية:

ولم يكتفِ هؤلاء في إطلاق نداءاتهم لتخذيل الناس عن مسلم بن عقيل، بل انحازوا إلى مرحلةٍ أخرى متقدمة بعد ما وجدوا أن هذه النداءات التخذيلية قد فعلت فعلتها في الناس، ووجد ابن زياد أن هذا الأسلوب قد آتى ثماره فلينتقل إلى مرحلةِ أخرى وهي النزول إلى

الشوارع والدوران في أزقة الكوفة وسككها ليخوف الناس ويحذرهم ((فدعا ابن زياد كثير بن شهاب، وأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج فيسير في الكوفة ويخذّل الناس ويخوفهم من الحرب، ويحذرهم عقوبة السلطان.

وأمر محمد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كندة، فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس.

وقال لشبث بن ربعي وحجار بن أبجر وشمر بن ذي الجوشن مثل ذلك فخرجوا يردون الناس عن مسلم ويخوفونهم السلطان، حتى اجتمع إليهم عدد كثير من قومهم وغيرهم، فصاروا إلى ابن زياد.

فقال كثير بن شهاب: أصلح الله الأمير، معك في القصر ناس كثير من أشراف الناس وغيرهم، فبعث عبد الله إلى الأشراف فجمعهم، ثم أشرفوا على الناس، فمنوا أهل الطاعة بالزيادة والكرامة، وخوفوا أهل المعصية الحرمان والعقوبة وأهل الشام[1])).

والنص الذي بين أيدينا يشير إلى أن حالة انفراج حدثت لابن زياد وأصحابه ((فدعا ابن زياد كثير بن شهاب وأمره يخرج فيمن أطاعه من مذحج ويسير في الكوفة ويخذل الناس)) فالسير في الكوفة دليل على إمكانية الحركة لقوات ابن زياد التي كانت محاصرة من قبل الثوار وانفراج الحصار الذي كان مضروباً على القصر، وان كان لقصر الأمارة عدة أبواب وإمكانية خروج هؤلاء المخذّلين من إحدى الأبواب واردة إلا أن مسلم بن عقيل قد أحاط بالقصر وأخذ بالطرق وأبواب القصر،

---

١ - الشيخ شريف الجواهري: مثير الأحزان:٢٣.

فلا يستطيع أحدٌ من هؤلاء الإفلات من قبضة الثوار، إلا أن الظاهر أنّ تفرق الناس عن مسلم بن عقيل أوجد ثغرات انفرجت فيها كثير من السبل المؤدية لخروج المحاصرين في القصر، وحركتهم بحرية كاملة، ونداءاتهم دليل على انصياع الناس لهذه التهويلات المفتعلة كما ورد في النص ((وخوفوا أهل المعصية الحرمان والعقوبة وأهل الشام)).

فضلاً عن أن النص يُظهر مع حالة التراخي هذه انصياع كثيرٍ من الناس لابن زياد ((وأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج)) مع أن زعيم مذحج هانئ بن عروة زعيم المعارضة الكوفية للنظام الأموي، وهو مع هذا نجد مجاميع من المذحجيين مؤيدين للنظام ومعارضة لالتحاقه بمسلم بن عقيل وتأييده الثورة، وهذا يكشف لنا أن الكوفة وقبائل موالية لمسلم بن عقيل عليه السلام، لم تخضع الخضوع التام لأطروحة الثورة وغير مقتنعة بالتغيير مما حدى بها أن تنضم إلى صفوف النظام وتلتحق تحت لواء ابن زياد لتقف موقف الضارب لثورة مسلم بن عقيل الكوفية ويلخّص بعضهم جهود ابن زياد التخذيلية عن مسلم بن عقيل بقوله: لما أحيط بابن زياد وهو في القصر، فكر بتخذيل الناس عن مسلم وأستخدم لذلك عدة طرق منها:

١ ـ التخويف من الحرب والتحذير من عقوبة السلطان.

٢ ـ إغراء الناس بإعطاء الأمان لمن يأتيه.

٣ ـ إغراء المطيع بزيادة العطاء، وحرمان العاصي من العطاء.

٤ ـ تخويف الناس بان جيش الشام زاحفٌ عليهم، وإنهم لا يقدرون عليه.

٥ ـ بعث رجال يشيعون الانهزامية في نفوس الناس حتى يقول كل واحد: لا علاقة لي بهذا الأمر.

والى غير ذلك من سياسات البطش والتنكيل التي علقت في ذهنية الكوفيين، وتذكيرهم بتجربة أبن زياد في ولايته للبصرة، وكونه يمثل سياسة الإرهاب التي عُرف بها من قبل، مما ساعد في انصياع الناس لصيحات هؤلاء المخذلين ووعودهم.

الإجراءات المتشددة تتطور لصالح ابن زياد:

واستغل ابن زياد تخاذل الناس وتفرقهم عن مسلم ولم يسع أن تفوته فرصة استغلال الموقف فان الأمر يتجه لصالحه، وان الكوفة اليوم انكفأت عن نصرتها لمسلم بن عقيل ولا بد لابن زياد أن يأخذ زمام المبادرة بعدما علم أن التحذيرات قد أخذت تفعلُ في نفوس الناس فعلتها، فهو أذن في مندوحةٍ من الأمر ((ولما تفرق الناس عن مسلم بن عقيل وسكن لغطهم ولم يسمع ابن زياد أصوات الرجال، أمر من معه في القصر أن يشرفوا على ظلال المسجد لينظروا هل كمنوا فيها[1]، فكانوا يدلون القناديل، ويشعلون النار في القصب، ويدلونها بالحبال إلى أن تصل صحن الجامع، فلم يروا أحداً فأعلموا ابن زياد، فنزل إلى المسجد

---

١ - لم يصدق ابن زياد هذا التحول المفاجئ، والسكون بعد اللغط الذي أحدثه تجمع الناس على القصر، حتى تصور أنها خدعة يُراد منها استدراج ابن زياد ومن معه والقبض عليهم، فهو لم يتعقل تغير المواقف بهذه البساطة ولمجرد النداءات الكاذبة والإعلام المضاد الذي أطلقه أصحاب ابن زياد في تخويف الناس وتحذيرهم.

قبل العتمة، وأجلس أصحابه حول المنبر وأمر فنودي في الكوفة: برئت الذمة من رجلٍ من الشرطة والعرفاء والمقاتلة، صلى العتمة إلا في المسجد[1])).

فامتلأ المسجد، ثم صلى الناس وقام فحمد الله، ثم قال: أما بعد، فإن ابن عقيل السفيه الجاهل[2] قد أتى ما رأيتم من الخلاف والشقاق، فبرئت الذمة من رجلٍ وجدناه في داره، ومن أتانا به فله ديته، فاتقوا الله عباد الله، وألزموا طاعتكم وبيعتكم ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً، ثم أمر صاحب شرطته الحصين بن تميم أن يفتش الدور والسكك، [3]وحذره بالفتك به إن أفلت مسلم وخرج من الكوفة.

فوضع الحصين الحرس على أفواه السكك، وتتبع الأشراف

---

١ - أي صلاة العشاء، أرادها ابن زياد أن تكون في المسجد بعد أن لاحت بواكير الانفراج لصالح ابن زياد.

٢ - هذه الأساليب التي استطاع ابن زياد أن يستكشف الأمر بها، فالشتائم التي وجهها لمسلم بن عقيل وعلى مسمع من الناس يشير إلى أن هناك تراجع في الموقف لصالح مسلم بن عقيل وانه - أي ابن زياد - قد سيطر على الموقف وهذه أساليب إعلامية ذكية استخدمها ابن زياد من اجل إرباك الموقف وخلط الأوراق على المشهد العسكري الذي بدى يتجه لصالح ابن زياد بعد هزيمته المشهودة والذي صار يكسبه ابن زياد لصالحه فضلا عن اسلوب الشتائم هو طريقة الجبابرة حين هزيمتهم لإضعاف موقف الخصم وإرباك أنصاره.

٣ - وهذا يبين لنا حالات اقتحام البيوت من قبل قوات ابن زياد و تفتيشها و اعتقال الناس بحجة تأييدهم مسلم بن عقيل وهي المداهمات التي أشاعها ابن زياد للقبض على الثوار و تقليص حجم التأييد لمسلم بن عقيل و حركته.

الناهضين مع مسلم فقبض على عبد الأعلى بن يزيد الكلبي، وعماره بن صلخب الأزدي، فحبسهما وحبس جماعة من الوجوه استيحاشاً منهم وفيهم الأصبغ بن نباته، والحارث الأعور الهمداني[1].

وتتصاعد وتيرة الأحداث ولم يثنى ذلك بعض الناشطين المناصرين لحركة مسلم والذين وفوا بعهدهم وميثاقهم، فقد تحركوا باتجاه فتح الحصار عن مسلم الذي تلاحقه رجالات السلطة، وحاولوا إعادة الثقة في نفوس الناس المهزومين من دعايات الإعلام المضاد الذي عمل على الإطاحة بكل الجهود الثورية التي نهضت بها الكوفة لتستقبل مسلم بن عقيل.

القوى المناصرة تتحرك:

وينتفض العديد من أصحاب مسلم بن عقيل بعد أن كان بعضهم بعيدين عن المفاجئات، والأحداث المتسارعة التي حاولت أن تقلب الموازنات، فتحرك المختار ومعه عبد الله بن الحارث ليتجها بقواتهما نحو قصر الأمارة، ((وكان المختار عند خروج مسلم في قريةٍ له تدعى (خطوانية)[2] فجاء بمواليه يحمل رايةً خضراء، ويحمل عبد الله بن الحارث راية حمراء، وركز المختار رايته على باب عمرو بن حريث وقال: أردت أن امنع عمرو وأوضح لهما قتل مسلم وهانئ وأشير عليهما بالدخول تحت راية الأمان عند عمرو بن حريث ففعلا، وشهد لهما ابن حريث

---

١ - السيد المقرم، مقتل الحسين (ع): ١٧٧.

٢ - ناحية من نواحي بابل العراق، راجع مراصد الاطلاع ١: ٤٧٢.

باجتنابهما ابن عقيل، فأمر ابن زياد بحبسهما بعد أن شتم المختار واستعرض وجهه بالقضيب فشتر عينه وبقيا في السجن إلى أن قتل الحسين عليه السلام .[1]

لقد كان دخول المختار وعبد الله بن الحارث في وقتٍ متأخر، حيث قوات ابن زياد التي تجمعت من شتات الناس كانت تطارد مسلم بن عقيل وتشتبكُ معه في معارك ضارية، ومن غير المعقول أن يُسلّم المختار نفسه إلى ابن زياد على إصراره لمعارضته ومناصرة مسلم بن عقيل بل كانت الحكمة - على ما يبدو - أن يحفظ نفسه ويدخرها إلى المعركة الأكبر، أي معركة الإمام الحسين عليه السلام القادم في طريقه إلى الكوفة، ولعل الذين مع المختار وعبد الله بن الحارث كانوا مجموعة لا تقوى على مقاومة الأحداث المتشددة المتجة لصالح عبيد الله بن زياد، وبذلك فستكون أية مواجهة مع قوات ابن زياد هي مواجهة خاسرة تذهب ضحيتها قوات الثورة ورجالاتها، فإذن تأجيل المواجهة مع الأمويين هو الموقف الناضج والقرار الرشيد الذي اتخذه الثوار.

قوات ابن زياد:

والظاهر أن ابن زياد قد تعافت قواته، فإن شتات المناصرين له شكلوا قوة عسكرية منظمة معاكسة لقوة مسلم بن عقيل التي تخاذلت بعضها وأقصيت الأخرى، فقد كانت قوات عبيد الله بن زياد متكونة من قوات متشتتة أهمها:

---

١ - المقرم : مقتل الحسين (ع): ١٧٨.

أولاً: المجاميع الرافضة لبيعة مسلم بن عقيل وهم يشكّلون قوة ضاربة، وقد أشار إليهم عبيد الله بن زياد حينما أمر أصحابه بالتفرق في الكوفة مع قواهم المناصرة له حيث اصدر الأوامر التالية:

١ ـ أن يخرج كثير بن شهاب مع من أطاعه من مذحج ليخذّل الناس عن مسلم.

٢ ـ أن يخرج محمد بن الأشعث فيمن أطاعه من كندة.

٣ ـ أن يخرج شبث بن ربعي مع من أطاعه.

٤ ـ أن يخرج شمر بن ذي الجوشن مع من أطاعه.

وهذه القوات ستشكل قوة ضاربة مهمة تفعلُ في الأحداث بما يساعد ابن زياد في إنجاح مهمته.

ثانياً: القوات التي كانت مصاحبة للنعمان بن بشير الأنصاري الأمير السابق للكوفة، فهي تشكل قوة ضاربة ولم يسجل لنا التاريخ أية أشارة في تحولهم لصالح مسلم بن عقيل، بل هم باقون على التزامهم الرسمي يرابطون في قصر الأمارة.

ثالثاً: الجيش الكوفي بقيادة عمر بن سعد الذي وجهه إلى حرب الديلم.

قال ابن الأثير في أحداث سنة إحدى وستين: ((فلما كان الغد قدم عليهم عمر بن سعد بن أبي وقاص من الكوفة في أربعة آلاف، وكان سبب مسيره اليه أن عبيد الله بن زياد كان قد بعثه على أربعة آلاف إلى دستبي، وكانت الديلم قد خرجوا إليها وغلبوا عليها، وكتب له عهده

على الري فعسكر بالناس في حمام أعين[1])) وحمام أعين بالكوفة فهي من ضواحيها، قال الحموي في معجم البلدان: ((حمام أعين: بتشديد الميم، بالكوفة ذكره في الأخبار مشهور ومنسوب إلى أعين مولى سعد بن أبي وقاص))[2]. وقوله بالكوفة أي في مركزها أو من ضواحيها، وهو أقرب، كون الجيش لا يعسكر إلا في أطراف المدن وضواحيها دون قصباتها، واستدعاءه كان بسيطاً، وتحريكه لأية قضية طارئة كان أمراً ممكناً، لذا فإننا نرجح أن يُستدعى جيش عمر بن سعد إلى الكوفة لإخماد أية حركة، وهو رقمٌ يضاف إلى قوات عبيد الله بن زياد لإبادة المتمردين، وإدخال هذا الجيش ضمن جهده العسكري الذي بدأ يتعافى من رقدته التي ألمت به بسبب سياسة النعمان بن بشير الأنصاري الرافض لقتال مسلم بن عقيل كما قدمنا.

هذه هي قوات عبيد الله بن زياد استطاع استغلالها ومقاتلة من تجمع مع مسلم بن عقيل لمناصرته، وقد أخذت هذه القوات مواقعها في التأهب والعدة لملاحقة أي شخصٍ يريد الالتحاق بمسلم، مما دعى الكثير من الناس إلى التباطؤ عن الالتحاق بمسلم ومن ثم خذلانه بهذه الطريقة المفجعة.

---

١ - ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٣: ٢٨٢ دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الخامسة ١٩٨٥.

٢ - الحموي، ياقوت، معجم البلدان ٢: ١٨٩، دار إحياء التراث، بيروت.

طوعه.. الأنموذج الكوفي:

ولم تزل تتوالى هذه الأحداث الكوفية لتجعل من مسلم بن عقيل عليه السلام وحيداً في سككها ((ثم جعل القوم يتسللون والنهار يمضي، فما غابت الشمس حتى بقي مسلم بن عقيل في عشرة من أصحابه، واختلط الظلام فدخل مسلم المسجد الأعظم ليصلي المغرب فتفرق عنه العشرة[1]، فلما رأى ذلك استوى على فرسه ومضى في بعض أزقة الكوفة وقد أثخن بالجراحات لايدري أين يذهب حتى صار إلى امرأة يقال لها طوعه[2]، وقد كانت قبل ذلك أم ولد للأشعث بن قيس فتزوجها رجل من حضرموت يقال له أسيد الحضرمي فولدت لهُ بلال بن أسيد، وكانت المرأة واقفة على باب دارها تنتظر أبنها، فسلم عليها مسلم فردت عليه السلام، فقال: يا أمة الله اسقيني، فسقته، فجلس على بابها، فقالت له يا عبد الله، ما شأنك أليس قد شربت؟ قال: بلى والله، ولكن مالي بالكوفة منزل وإني لغريب قد خذلني من كنت أثقُ به، فهل لك في معروف تصطنعينهُ إليّ فإني رجل من أهل بيت شرف وكرم، ومثلي من يكافأ بالإحسان، قالت فكيف ذلك من أنت؟، فقال: يا هذه ذري عنك التفتيش في هذا الوقت وأدخليني منزلك، فعسى الله أن يكافئكِ عنا

١ - وهذا العدد الباقي - العشرة - لا تتناسب مع الثمانية عشر آلاف الذين خرجوا لنصرة مسلم، إذ تفرق هذا العدد الهائل بسرعة واحدة غير متصور، فالعدد - ثمانية عشر ألف - مُبالغ فيه إلى حد كبير.

٢ - يصفها الشيخ أسد حيدر بأنها ((امرأة عربية موالية لآل محمد (صلى الله عليه واله وسلم) شأنها شأن كبير من نساء الكوفة)) انظر مع الحسين في نهضته:١١٢.

بالحسنة، فقالت يا عبد الله أخبرني باسمك ولا تكتمني شيئاً من أمرك، فإني أكره أن تدخل منزلي من قبل معرفة خبرك، وهذه فتنة قائمة وهذا أبن زياد بالكوفة فأخبرني من أنت.

فقال: أنا مسلم بن عقيل، فقالت المرأة قم فأدخل رحمك الله، وأدخلته منزلها، وجاءته بمصباح ثم بطعام فأبى أن يأكل فلم يكن بأسرع من أن جاء ابنها فلما دخل رأى من أمه أمراً منكراً من دخولها ذلك البيت وخروجها منه وهي باكية، فقال لها يا أماه ما قصتك، فقالت له يا بني أقبل على شأنك فألح عليها، فقالت يا بني أذا أخبرتك بشيء فلا تفشهِ لأحد، فقال لها قولي ما أحببت.

فقالت: مسلم بن عقيل في ذلك البيت وكان من قصته كذا وكذا. فسكت الغلام ولم يقل شيئاً، ثم أخذ مضجعه ونام، فلما أصبح ابن زياد نادى في الناس أن يجتمعوا ثم خرج من القصر فدخل المسجد ثم صعد المنبر، فقال: أيها الناس أن مسلم بن عقيل..[1] أتى هذا البلد وأظهر الخلاف، وشق عصا المسلمين، وقد برأت الذمة من رجلٍ أصبناه في داره، ومن جاء به فله ديته، والمنزلة الرفيعة من أمير المؤمنين، وله كل يوم حاجة مقضيه، ثم نزل عن المنبر ودعا الحصين بن نمير السكوني فقال له: ثكلتك أمك إن فاتتك سكة من سكك الكوفة سالماً لنزهقنّ أنفسنا في طلبه[2].

---

١ - عبارات من الشتم والسب لا نريد تكرارها وقد اشرنا إليها في مورد سابق وإن ذلك من شأن الجبابرة حين هزيمتهم وانكسارهم.

٢ - كذا ورد في المصدر والظاهر: ثكلتك أمك إن فاتتك سكة من سكك الكوفة

فانطلق الآن فقد سلطتك على دور الكوفة وسككها فأنصب المراصد وخذ في الطلب حتى تأتيني بهذا الرجل.

واقبل محمد بن الأشعث حتى دخل على عبيد الله بن زياد، فلما رآه قال: مرحباً بمن لا يتهم إلى في مشورة، وأقبل ابن تلك المرأة التي كان مسلم في دارها إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فأخبره بمكان مسلم إلى آخر الرواية[1])).

واستمر القوم في طلب مسلم بن عقيل وأُحيلت محاولة القبض على مسلم بن عقيل إلى ملاحم قتالية فاجأت الجيش الأموي خصوصا محمد بن الأشعث وعبيد الله بن زياد في أحداث نستعرضها فيما بعد.

إن هذه الأحداث الملتهبة والتي رافقتها مفاجئات غير محسوبة - في نظرنا - توقفنا على أمور:

الأمر الأول:

مثّلت السيدة طوعة – وهي امرأة عربية موالية لآل محمد ﷺ لها شأن كبير في نساء الكوفة[2] – النموذج الكوفي المناصر لحركة مسلم بن عقيل والتي خاطرت بكل ما تملك من أجل مساعدة مسلم، وأغلب الظن أنها قُتلت بعد أن علم عبيد الله بن زياد بإيوائها مسلم، كونها

حتى تجده أو لتزهقن نفسك في طلبه..

١ - مقتل الحسين (ع) للخوارزمي:٢٠٧.

٢ - الشيخ نبيل حلباوي، انظر موسوعة كربلاء ١: ٤٨٥، وقد نسب القول إلى العلامة الشيخ أسد حيدر رحمه الله.

السياسة العامة لدولة بني أمية مع معارضيهم وسياسة عبيد الله بن زياد خاصة وهو يعيش في طور إجهاض حركة مسلم بن عقيل، فهو يرى ضرورة إبادة كل معارضيه ليأخذ الآخرين العبرة خصوصا في بداية أمر انتصاره ومحاولة إفشال حركة مسلم بن عقيل.

والأنموذج الكوفي الذي مثّلته السيدة طوعة الأنموذج العام لحركة المناصرين الذين أعطوا بيعتهم لمسلم بن عقيل، مما يعني أن التيار المناهض للسلطة الأموية هو الأكثر وان كان متخاذلاً غير كفوء في استمرارية نهضته.

والجدير بالذكر أن أخبار السيدة طوعة لم تصلْ إلينا حيث حاولت أجهزة النظام الأموي التعمية على أمرها وشاركتها في ذلك الدوائر الفكرية والثقافية التي كتبت المشروع التاريخي ((المبتور)).

الأمر الثاني:

من المرجح قويا ان يكون مسلم بن عقيل قد قصد بيت طوعه لعلمه المسبق بولائها لأهل البيت، وكونها من أشراف البيوتات الكوفية وعلى ضوء ما قرره العلامة أسد حيدر بقوله عن السيدة طوعه: وهي امرأة عربية موالية لآل محمد (عليهم السلام) لها شأن كبير في نساء الكوفة، ومعنى هذا أن مسلم بن عقيل مسبوق بموقف طوعه وطاعتها لأهل البيت عليهم السلام، فضلا عن كونه عليه السلام كان عالما بسكك الكوفة وشوارعها فمسلم بن عقيل عرف الكوفة بكل تفاصيلها خلاف ما ينقله البعض من أن مسلما كان لا يهتدي الطريق لأنه غريب، وهذا لا

يتناسب مع اختيار الإمام الحسين عليه السلام لقيادة ثورة لا يهتدي قائدها أماكن المدينة وطرقها مما يسبب للثورة تعثرا وتلكؤاً واضحا.

على أن مسلما كان حكيما في اختياره لبيت طوعه كونها امرأة والمرأة تكون بعيدة عن الأنظار في مثل هذه الأحداث بعكس الرجال الذين كانوا معرضين للمراقبة فضلا عن كون أصحاب مسلم عليه السلام بين مسجون عند النظام وبين مختف عن أنظار السلطة التي تبحث عن مسلم وعن أنصاره.

ولو افترضنا أنّ مسلماً كان لا يعلم بطوعه وموقفها فان هذا المشهد يشير إلى كثرة العارفين بأمر أهل البيت والناصرين لمسلم من أهل الكوفة فهو بمجرد وقوفه على باب دار لا يعرفه ظهر ان صاحبة الدار هي ممن تحمل الولاء لمسلم ولثورته المباركة وهذا دليل على انتشار الموالين الكوفيين لثورة مسلم في الأرجاء الكوفية الشاسعة.

الأمر الثالث:

من البعيد جداً تمكن والمناصرين سماع الأخبار الطارئة التي حلت بهانئ بن عروة والاستماع إلى نداء مسلم بن عقيل باستنهاض الثوار، فهو وقت غير محسوب لدى الحشود المناصرة، وهي غير متوقعة لتوقيت النهضة التي دعا إليها مسلم بن عقيل في مثل هذا الوقت، فتحشيد ثمانية عشر ألف في أقل من ساعة غير ممكن عادةً، والظروف الأمنية المتشددة التي اتخذها عبيد الله بن زياد فضلاً عن التشتت الذي حل بمجاميع المبايعين – هو أمر طبيعي إذ أنهم لم يعلموا بما سيحدث من أمرٍ طارئ

وقد مر بنا خروج المختار مثلاً إلى قرية الخطوانية خارج الكوفة وأمثاله كذلك - أربك أمكانية تحشيد هذه القوات بهذا العدد الكبير، لاسيما أنْ الكوفة كانت واسعة الأطراف ومن غير اليسير أن ينجح أي استنفار تعبوي لجيشٍ متفرق في الأطراف لمواجهة الطوارئ، فضلاً عن كون القوات الثورية هي قوات شعبية ولم تكن جيشاً نظامياً مرابطاً في معسكرٍ معين يمكن استدعاؤه بشكلٍ نظاميٍ يسير، وتجمعه يحتاج إلى وقتٍ استنفاريٍ خاص يرتبط بظروفٍ عدة ويعتمد على تداعياتٍ مختلفة.

الأمر الرابع:

لم يكن مسلم بن عقيل مستبعداً هذه الطوارئ، فان النصوص تشير إلى أنه جعل حوله أربعة آلاف رجل يحيطون بمقر أقامته، وهي مشاهدة عبد الله بن حازم الذي صوّر لنا مشهد الطوق الأمني الذي كان يضربه أصحاب مسلم حول مقر اقامته.. قال عبد الله بن حزام في وصف دخوله على مسلم وإخباره باعتقال هانئ بن عروة عند عبيد الله بن زياد ((فدخلت على مسلم فأخبرته الخبر، فأمرني أنْ أنادي في أصحابه، وقد ملأ بهم الدور حوله، وكانوا فيها أربعة ألاف[1])).

وهذا يعني أن الاحتياطات التي اتخذها مسلم بن عقيل كانت بحجم الأحداث المتوقعة والمسؤولية التي تحمّل مسلم أعباءها أو هو أمر يثير الإعجاب لما بذله مسلم بن عقيل من جهود في إنجاح المهمة.

---

١ - السيد محسن الأمين: لواعج الأحزان:٤٧.

الأمر الخامس:

إن النص يصور لنا المشهد الكوفي آنذاك بأنه مأخوذ بالاحتياطات الأمنية المشددة، وفرض حظر التجوال كان قد أعلن حتى أن سكك الكوفة خلت نهائياً من المارة عدا رجالات الأمن الذين يجوبون الشوارع، بل كان الحرس يأخذون أي شخص يجدونه في الشارع حتى أن ((كثيراً ألفى رجلاً من كلب يقال له عبد الأعلى بن يزيد قد لبس سلاحه يريد ابن عقيل في بني فتيان، فأخذه حتى أدخله على ابن زياد فأخبره خبره فقال لأبن زياد إنما أردتك، قال: وكنت وعدتني ذلك من نفسك فأمر به فحبس))[1] وهكذا كانت حالة حظر التجوال فضلاً عن أن النص يشير إلى مداهمات البيوت واقتحامها من قبل رجال السلطة بأمر عبيد الله بن زياد ((ودعا - أي عبيد الله بن زياد - الحصين بن نمير السكوني فقال له: فأنطلق الآن فقد سلطتك على دور الكوفة وسككها فأنصب المراصد، وخذ في الطلب حتى تأتيني بهذا الرجل)). ويصرّح الطبري بهذه المداهمات كما ينقله من كلام عبيد الله بن زياد للحصين بن تميم ((وقد سلطتك على دور أهل الكوفة فأبعث مراصدةً على أفواه السكك، وأصبح غداً واستبر الدور وجس خلالها حتى تأتيني بهذا الرجل..))[2].

فالمداهمات للبيوت الكوفية من أنصار مسلم بن عقيل ونصب

---

١ - أنصار الحسين الثورة والثوار للمؤلف:٩٥.

٢ - الطبري: تاريخ ٣: ٢٧٦.

المراصد - السيطرات العسكرية - في شوارع الكوفة ضيّقت حركة الثوار، وألجأتهم للانسحاب إلى خارج الكوفة، أو الاختفاء لحين استقرار الوضع مما أربك إمكانية التحرك لإنقاذ الموقف في صالح حركة مسلم بن عقيل وشجّع التيار الأموي إلى أن يطل برأسه في ساحة الأحداث بعد هزيمته مقابل الإرادة الشعبية الغاضبة على الأمويين وأتباعهم.

الأمر السادس:

إننا بقدر ما توقفنا في قبول هذا العدد - الثمانية عشر ألف - الذين خرجوا استجابةً لنداء مسلم بن عقيل كما ذكرته بعض المصادر، فإننا نتوقف كذلك في العدد الآخر - أربعة آلاف مقاتل - الذين أحاطوا بمسلم بن عقيل، وهؤلاء لابد أن يكونوا من المقاتلين المعتمدين لديه وبمصطلح آخر فهم من الطوق الأمني الأول الذي اعتمده مسلم بن عقيل في ادخاره للطوارئ، فكيف يتفرقون في ساعةٍ واحدة، إذن من المستبعد أن يجتمع لديه هذا العدد، ولا يضر أن يشكّل مسلم بن عقيل تشكيلةً عسكرية حيث عبّأ الأرباع وعمل القلب والميمنة والميسرة، فيمكن أن تتم هذه التعبئة بعددٍ أقل من العدد الذي أوردته النصوص، ليتلاءم مع الموقف الذي تصوّره مشاهد النص، وتفرق القوم عن مسلم بهذه السرعة التي تناسب عدداً من القوات التي يمكن أن لا يتجاوزون الأربعمائة مقاتل ولعل للتصحيف أثره في نقل المعلومة التاريخية المضطربة.

على أننا ننوه أن الخوارزمي في مقتله أورد في العدد ((ثمانية عشر

ألف)) الذين خرجوا مع مسلم بن عقيل، في حين يؤكد الطبري عن أبي مخنف أن العدد هو ((أربعة آلاف)) عن عباس الجدلي قال: ((خرجنا مع ابن عقيل أربعة آلاف))[1]، وهذا الإختلاف الفاحش في النصين يشير إلى اضطراب المعلومات الواردة في تحشيد الجيش المناصر لمسلم بن عقيل مما يعني أن الأرقام الواردة غير جديرة بالاعتماد عليها.

الغدر الكوفي.. أم الغدر الأموي؟!

من المستغرب أن تثار ضد الكوفة حملة إعلامية لعلها نجحت - إلى حد ما - في ترسيخ مفاهيم جائرة ضد الموقف الكوفي، ومن جهتها حاولت هذه الأجهزة أن تضبب على الكثير من الحقائق والوقائع التاريخية لتغطي على الكثير من المواقف الغادرة للأمويين ولأنصارهم، فمن ذلك ما حدثتنا المقاتل من غدر عبيد الله بن زياد ومحمد بن الأشعث وما عملاه من أمان غادر أوقعا بسببه مسلم بن عقيل في مكيدة أودت به أخيراً إلى نهايةٍ مفجعة.

فقد ذكر المؤرخون هذه الواقعة المنبئة عن السياسة الأموية الغادرة التي استنهضت مسلم بن عقيل وأنصاره.

((وعند الصباح أُعلم أبن زياد بمكان مسلم فأرسل أبن الأشعث في سبعين من قيس ليقبض عليه، ولما سمع مسلم وقع حوافر الخيل عرف أنه قد أُتي، فعجل دعاءه الذي كان مشغولاً به بعد صلاة الصبح، ثم لبس لامته وقال لطوعة: **قد أديتِ ما عليكِ من البر وأخذت نصيبكِ من**

---

١ - أنصار الحسين الثورة والثوار للمؤلف:٩١.

شفاعة رسول الله ولقد رأيت البارحة عمي أمير المؤمنين في المنام وهو يقول لي: أنت معي غداً. وخرج إليهم مصلتاً سيفه وقد اقتحموا عليه الدار، فأخرجهم منها ثم عادوا إليه وأخرجهم وهو يقول:

هو الموت فاصنع ويكَ ما أنت صانع
فأنت بكأس الموت لاشك جارع

فصبـــــراً لأمـــر الله جـل جلالـه
فحكم قضاء الله في الخلق ذايـعُ

فقتل منهم واحداً وأربعين رجلاً، وكان من قوته يأخذ الرجل بيده ويرمي به فوق البيت[1].

وأنفذ أبن الأشعث إلى أبن زياد يستمده الرجال، فبعث إليه اللائمة، فأرسل إليه: أتظن أنك أرسلتني إلى بقالٍ من بقالي الكوفة، أو جرمقاني من جرامقة الحيرة، وإنما أرسلتني إلى سيفٍ من أسياف محمد بن عبد الله، فمده بالعسكر واشتد القتال واختلف مسلم وبكير بن

---

١ - وهو أمر لا يمكن استبعاده لسببين:
الأول: بطولة مسلم بن عقيل (ع) وقوته وشجاعته وقد شهد بها محمد بن الأشعث حينما أنحى باللائمة ابن زياد عله فقال: أيها الأمير انك بعثتني إلى أسد ضرغام، وسيف حسام في كف بطل همام، من آل خير الانام \ تاريخ الطبري ٤: ٣٤١.
الأمر الثاني: إن دور الكوفة يومذاك كانت واطئة الارتفاع ولعلها لا تصل إلى مترين((وفي هذه الأثناء من شهر شوال يلتهم حريقٌ مفاجئٌ بيوت المسلمين الضعفاء فيفنيها عن آخرها، عند ذاك أمر الخليفة الثاني ببناء البيوت الآجر المتواضعة، وأن لا يزيد احدهم على ثلاثة أبيات، ولا يتطاولوا في البنيان)) \ أنصار الحسين الثورة والثوار للمؤلف:٣٠.

حمران الاحمري بضربتين ضرب بكير فم مسلم فقطع شفته العليا، وأسرع السيف إلى السفلى، ونصلت له ثنيتان، وضربه مسلم على رأسه ضربة منكرة، وأخرى على حبل العاتق حتى كادت أن تطلع إلى جوفه فمات)) [1].

ولم يستطع هذا القتال أن يوقف وثبة مسلم على هؤلاء، بل زادته إصراراً على مواصلة القتالِ، وانكفأ الأعداء إلى حالةٍ أخرى من الانهزامية التي بدت واضحةً على تعاطيهم مع الأحداث.

فالقتال لم يتوقف والمجاميع تواجه واحداً، مما يعني أن الأمر يحتاج إلى مزيد مكر وخداع، وطريقةٍ أخرى من الحيلة، مما الجأ هؤلاء أن يواصلوا القتال لكن بطريقة المنهزم، حيث تحول القتال إلى عمليات من المكائد والاحتيال.

((ثم أشرفوا عليه - أي مسلم - من فوق ظهر البيوت يرمونه بالحجارة ويلهبون النار في أطنان القصب ويلقونها عليه، فشد عليهم يقاتلهم في السكة وهو يرتجز بأبيات حمران بن مالك:

أقسمت لا أقتل إلا حــرا — وإن رأيت الموت شيئاً نكرا

كل امرئ يوماً ملاقٍ شرا — ويخلط البارد سخناً مـــرا

رد شعاع النفس فاستقرا — أخاف أن أكذب أو أغـرا

وأثخنته الجراحات وأعياه نزف الدم، فأستند إلى جنب تلك الدار، فتحاملوا عليه يرمونه بالسهام والحجارة، فقال:

ما لكم ترموني بالحجارة كما ترمى الكفار؟ وأنا من أهل بيت

---

١ - الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٤: ٣٤١.

الأنبياء الأبرار ألا ترعون حق رسول الله في عترته؟[1] فقال له أبن الأشعث: لا تقتل نفسك وأنت في ذمتي. قال مسلم: **أأؤسرُ وبي طاقة؟**[2] **لا والله لا يكون ذلك أبدا، وحمل على أبن الأشعث فهرب منه، ثم حملوا عليه من كل جانب وقد أشتد به العطش، فطعنه رجلٌ من خلفه فسقط إلى الأرض وأسر.** وقيل: أنهم عملوا له حفيرة وستروها بالتراب ثم انكشفوا بين يديه حتى إذا وقع فيها أسروه.[3] ونستشفُ من وقائع النص إن الجيب الأموي بقيادة محمد بن الأشعث كان مهزوماً من أول أمره لقناعاته بأن حالة الخيانة التي تلّبس فيها تطاردُ ضميره وتُسقطُ كل مشاعره الموخوزة بألم الغدر، والمأخوذة بنخوة المكابرة بعد أن اختارت مناصرة عبيد الله بن زياد على مسلم بن عقيل وقد علموا أن التفاضل بين الطرفين في غير محله، كما أن المعركة التي دخلوا فيها مع مسلم بن عقيل غير متكافئة فمجموعة الطوارئ التي قادها محمد بن الأشعث تنازلُ رجلاً واحداً وهذا لم يسبقه مثيل، وإذ عبرنا عنها بأنها مجموعة طوارئ، دون أن تكون جيشاً نظامياً، فان الجيش النظامي المجهز بقيادة عمر بن سعد للذهاب إلى حرب الديلم - كما أشرنا - لم يُستدعَ بعدُ وإن كانت هناك جيوب عسكرية يُحسبُ ولاؤها لصالح عبيد الله بن زياد معبّئة لاستقبال أي طارئ يحدث.

---

١ - حاول مسلم أن يذكرهم بحرمة رسول الله وأن له حرمة وذمار، ولعترته مثلُ ذلك فألقى الحجة لعل في القوم من يتراجع عن غيه ويتذكر ما لعترة رسول الله من حق.

٢ - لا زالت نفس الإباء التي يحملها مسلم بين جنباته وهو يصر على ما هو عليه بالرغم مما ألم به يعلم ان طريقه حق ونهجه صدق.

٣ - مقتل الحسين للسيد عبد الرزاق المقرم: ١٧٩-١٨٢.

أمويو الكوفة.. أهل غدر لا أهل بيعة:

على إننا نستفيد من النص كذلك ان مسلما ذكّرهم بحرمته وقربته من الرسول (صلى الله عليه وآله) وكانت حجته هذه على القوم، وهو لم يحتج عليهم بالبيعة، بأنهم بايعوه وغدروا به بعد ذلك، مما يعني أن الذين حاربوه هم ممن لم يعطوه البيعة وهم من أنصار بني أمية وليس من أنصاره الكوفيين، وهي إشارة إلى ان الذين بايعوه لم يكونوا مع المقاتلين له، وهذه وقفة يجب الالتفات إليها..

وقائع المشهد الأخير:

ويحكي لنا المشهد الأخير تلك الوقائع المؤلمة التي مر بها مسلم بن عقيل عليه السلام بعد أن غدرَ به هؤلاء، وأخذوه أسيراً إلى ابن زياد وهي توضح مدى الحقد الذي أوغرته قلوب القوم وهم يتعاطون مع عتره رسول الله صلى الله عليه وآله مما يثبت بأن هؤلاء قد صودرت لديهم المفاهيم الأصيلة والقيم العظمى في ذلك اليوم حتى وصلوا إلى ما هم عليه، إن المشهد الأخير أثبت خلو هؤلاء من العواطف التي تتأصل في الفطرة الإنسانية ليسمو الإنسان بها عن كل مخلوق، وليتميز عن غيره من مخلوقات الله تعالى، ولا بد من الوقفة عند هذهِ المشاهد المتعددة:

فضاعة القسوة:

حيث يقّدم لنا هذا المشهد القسوة التي حملها القوم والغلظة التي تعاملوا بها مع مسلم بن عقيل وهو أسيرٌ في أيديهم، وكيف خسر هؤلاء

أنبل العواطف وأرق المشاعر التي تنتاب الإنسان في مواقف كهذه.

قال الرواة: ((وجيء بهِ – أي مسلم بن عقيل– إلى أبن زياد فرأى على باب القصر قلة مبردة فقال: أسقوني من هذا الماء، فقال له مسلم بن عمرو الباهلي: لا تذوق منها قطرة حتى تذوق الحميم في نار جهنم، قال مسلم عليه السلام **من أنت؟**

قال: أنا من عرف الحق إذ أنكرته، ونصح لإمامه إذ غششته، فقال له أبن عقيل **لأمك الثكل ما أقساك وأفظّكَ، أنت يا ابن باهلة أولى بالحميم**، ثم جلس وتساند إلى حائط القصر.

وخرج غلام أبن زياد فأدخله عليه فلم يسلم، فقال له الحرس ألا تُسلم على الأمير؟ قال له: **أسكت أنه ليس لي بأمير**، ويقال انه قال: **السلام على من اتبع الهدى وخشي عواقب الردى وأطاع الملك الأعلى**، فضحك أبن زياد وقال: سلمت أو لم تسلم أنك مقتول.

فقال مسلم عليه السلام: **إن قتلتني فلقد قتل من هو شر منك من خير مني، وبعد فأنك لا تدع سوء القتلة، ولا قبح المثلة، وخبث السريرة، ولؤم الغلبة لأحد أولى بها منك.**

فقال ابن زياد: لقد خرجت على إمامك، وشققت عصا المسلمين والقحت الفتنة. قال مسلم: **كذبت، إنما شق العصا معاوية وأبنه يزيد، والفتنة ألقحها أبوك، وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على يد شر بريته**[1].

---

١ - المقرم، مقتل الحسين: ١٨٣.

القائد وأداء الحقوق:

يصور لنا هذا المشهد حرص مسلم بن عقيل عليه السلام على أداء حقوق الآخرين، والمحافظة على العهود، وأثبت أنه المصلح الثائر الذي لم يأتِ من أجل الملك أو المال، فإن بيت مال الكوفة كان في قبضته إلا أنه لم يأخذ منه شيئاً بل استدان لضروراته فاشترى ما يحتاجه، ثم هو من خلال هذا المشهد فضح دواخل هؤلاء القوم وكشف عن خباياهم وسرائرهم، فحينما يأتمن عمرَ بنَ سعد على سر من الأسرار، ينبغي لمثل هذا أن يأتمِن على هذا السر كون أبيه من حواري رسول الله ومن العشرة المبشرة بالجنة كما حلى لبعضهم أن يصفوه ويغدقوا عليه الأوصاف الروحانية التي لم يستحقها سعد ولا غير سعد الذين خالفوا رسول الله صلى الله عليه وآله في وصيه، ولابد أن يكون ولده قد تحلى ببعض صفات والده في حين نجد أنه غير جديرٍ أن يؤتمنَ على سر من الأسرار وقد أفشاه لابن زياد ذلك الشاب النزق ليتقرب إليه، فيا ويل سعد وآل سعد مما جناه، ولم يحتمل ابن زياد ما أذاعه عمر حتى قال ((لا يخونك الأمين ولكن قد يؤتمن الخائن)) وهو مع هذا يأمنه على قيادة جيشه ويرتضيه لمهمته مع شهادته بخيانته، وعلمه بفسقه وفجوره، وهذا يضيف لنا شهادةً أخرى بنفاق هؤلاء وبعدهم عن كل القيم الأخلاقية والمبادئ الإنسانية.

لقد كان مسلم بن عقيل عليه السلام حكيماً في كشف خبايا هؤلاء الذين سيخرجون لحرب الحسين وهي أحدى الحجج التي ألقاها مسلم بن عقيل على الناس ليرتدعوا عن حربه. ((ثم طلب مسلم أن يوصي إلى بعض قومه فأذن له ونظر إلى الجلساء فرأى عمر بن سعد فقال له: أن

بيني وبينك قرابة، ولي إليك حاجة ويجب عليك نجح حاجتي وهي سر.

فأبى أن يمكنه من ذكرها، فقال ابن زياد: لا تمتنع أن تنظر في حاجة ابن عمك، فقام معه بحيث يراهما أبن زياد، فأوصاه مسلم أن يقضي من ثمن سيفه ودرعه ودين أستدانه منذ دخل الكوفة يبلغ ستمائة درهم[1]، وأن يستوهب جثته من أبن زياد ويدفنها، وان يكتب للحسين بخبره.

فقام عمر بن سعد إلى أبن زياد وأفشى كل ما أسره إليه فقال أبن زياد: لا يخونك الأمين ولكن قد يؤتمن الخائن[2]. ولنا أن نقف عند هذا المشهد ونستطلع أمور:

الأمر الأول:

كان اختيار مسلم بن عقيل لعمر بن سعد اختياراً متقناً وموفقاً، فهو ليس بقصد تنفيذ الوصية بقدر ما هو في صدد فضح دخائل عمر بن سعد الذي كان يُظهر الورع والتقوى وكونه ابن سعد مؤسس الكوفة وقائد جيوش المسلمين في حرب القادسية لفتح فارس، حيث كانت هذه الشخصية مستحوذة على الكثير من المفاهيم، ومصادرة للعديد من الرؤى التي استغلت عهود ثلاثة من خلفاء السقيفة والذي حاول أن يقف موقفاً سيئاً من بيعة علي بن أبي طالب عليه السلام مستغلاً هيمنته على

---

١ - وعند الدينوري في الأخبار الطوال: يبلغ ألف درهم، انظر الأخبار الطوال صفحة:٢٤١.

٢ - المقرم، مقتل الحسين: ١٨٤.

الذهنية العامة وكونه من حواري رسول الله وأحد أصحابه إلى أخره من العناوين التي استأثر بها سعد بن أبي وقاص.

وقد ورثها ولده عمر الذي ينظر البعض إليه بمنظار التقوى مستغلاً هذا المفهوم في تمرير طموحاته الشخصية متلبسةً بلباسٍ شرعي وحينما يكشف مسلم بن عقيل عن حقيقة هذا الرجل فقد عمل على تهديم أحد أركان النظام الأموي – وعلى المستوى البعيد على الأقل –.

الأمر الثاني:

إن طلب مسلم بن عقيل أن لا يفشي سر وصيتهِ فإنه حصل على ما قدمناه، وهو فضح دواخل عمر بن سعد وحقيقته التي ربما يخادع بها المغفلين، فهو بالإضافة إلى ذلك أراد أن لا ينكشف المخلصون من أنصاره والمقربون من أصحابه الذين تعاملوا معه واستدان منهم مبلغاً معيناً فإنَّ كشْفَ أسمائهم سيعرضهم إلى خطر الملاحقة والمطاردة من قبل عبيد الله بن زياد، فعمر بن سعد لم يقبل أن يتحمل هذه الوصية، ومسلم بن عقيل لم يكشف عن أسماء الدائنين قبل موافقة عمر بن سعد على تنفيذ وصيته.

المشهد المفجع:

((ثم التفت ابن زياد إلى مسلم وقال: ايهاً يا ابن عقيل، أتيت الناس وهم جمع ففرقتهم. قال: **كلا لست أتيت لذلك، ولكن أهل المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل و ندعو إلى حكم الكتاب.**

فقال ابن زياد: ما أنت وذاك أو لم نكن نعمل فيهم بالعدل؟

فقال مسلم: **إن الله ليعلم أنك غير صادق، وأنك لتقتل على الغضب والعداوة وسوء الظن**، فشتمه أبن زياد، وشتم علياً وعقيلاً والحسين. فقال مسلم: **أنت وأبوك أحق بالشتم، فأقض ما أنت قاضٍ يا عدو الله.**

فأمر أبن زياد رجلاً شامياً أن يصعد به إلى أعلى القصر ويضرب عنقه، ويرمى رأسه وجسده إلى الأرض، فأُصعِدَ إلى أعلى القصر، وهو يسبح الله ويهلله ويكبره، ويقول: **اللهم أحكم بيننا وبين قوم غرونا وخذلونا وكذبونا، وتوجه نحو المدينة وسلم على الحسين.**

وأشرف به الشامي على موضع الحذائيين وضرب عنقه، ورمى برأسه وجسده إلى الأرض..[1]

ولنقف عند عبارة ((فأمر ابن زياد رجلاً شامياً)) لنستخلص هذه التساؤلات:

أولاً: هل أن تكليف أبن زياد للرجل الشامي دلالة على عدم ثقة ابن زياد بالكوفيين، وإنهم - أو الأكثر منهم- عرفوا بولائهم لمسلم وبيعتهم للحسين حتى أن أبن زياد بات لا يثق بولائهم له؟

ثانياً: من أين جاء الرجل الشامي، هل كان مصاحباً لابن زياد في مجيئه للكوفة أمثال معقل الشامي الجاسوس الذي كشف موقع مسلم بن عقيل وإقامته في بيت هانئ بن عروة، وهل كان هذا الشامي رجلاً واحداً أو مجموعة من الجيش الشامي الذين وصلوا مع أبن زياد؟

---

١ - المقرم، مقتل الحسين (ع): ١٨٥.

ثالثاً: هل سبقَ هؤلاء الشاميون عبيدَ الله ابن زياد إلى الكوفة بأمر السلطة الأموية أم أنهم صاحبوه، أذا ما علمنا أن ابن زياد قدم من البصرة فمن أين له هؤلاء الشاميون، علماً أن المصادر تشير إلى أن ابن زياد جاء الكوفة من ظهرها، وهي جهة القادم من الشام، فهل كان عبيد الله بن زياد قادماً من الشام بعد أن جُهز بجيش شامي أو قوات حرس شامية أم أن مجيئه من جهة ظهر الكوفة هي للقادم كذلك من الحجاز حتى أراد التمويه على الكوفيين بأن القادم هو الحسين بن علي؟ وهو الرأي الذي تساعد عليه بعض النصوص: ((كان دخول ابن زياد إلى الكوفة مما يلي البر – أي من الطريق الذي يقدم منه الوارد من المدينة – وعليه ثيابٌ بيض وعمامة سوداء مُلثماً كلثام الحسين، وهو راكبٌ بغلةٌ شهباء، وبيده قضيب من خيزران وأصحابه خلفه))[1].

تساؤلات عدة تحتمل وجوهاً تكشف أن اللغز الكوفي شائك معقدٌ لم يحُل بعد في نظر الكثيرين الذين أربكتهم تداعيات المشهد الكوفي إلا أنه اللغز المحلول سلفاً.

نهاية الرحلة ونتائج البحث:

هذه هي الرحلة الكوفية التي حاولنا فيها سبر اللغز الكوفي المحير والذي أوصد على الكثير لنخرج بنتائج عدة:

---

١ – الشيخ عبد العظيم الربيعي :سياسة الحسين:١٤.

النتيجة الأولى:

لم تكن مهمة مسلم بن عقيل الكوفية قتالية، بقدر ما هي تعبوية أراد بها أن يشحذ همم الكوفيين، ويستنهض عزائمهم، في حين أراد أن يدفع بإصرار الأكثرية نحو مواصلة الرفض بل والجهاد ضد النظام، فمهمته تعبوية أكثر من كونها قتالية، وهي الإجابة عن تساؤلات تتردد على ألسنة البعض عن سبب عدم اتخاذ مسلم بن عقيل إجراءات تصفية أجهزة النظام كالقبض على النعمان بن بشير والي الأمويين على الكوفة وغيره من أنصاره ومساعديه، في حين أن مهمة مسلم الإصلاحية تتنافى وذلك، وإثارة الفتنة هي التهمة التي أثارها عبيد الله بن زياد ضد مسلمٍ لكن بتردد واضح ((إيْهاً يا ابن عقيل، أتيت الناس وهم جمعٌ ففرقتهم)) ولم يستطع ابن زياد أن يثبت صحة كلامه هذا بأدنى دليل يمتلكهُ، إذ لم يقل له انك قتلت الناس وقبضتَ على الأبرياء، بل كان يعلم ابن زياد أن مسلماً طيلة مدة إقامته الكوفية كان مسالماً للجميع، داعياً إلى الله في قوله وفعله. فهو إذن داعية إصلاح لم يستنهض الكوفيين لقتال ولم يحشّدهم لذلك، بل أراد توجيه ثورتهم ضد الظالمين إلى حركة إصلاح ومبايعة الإمام، ولو استطلعنا حركته فإننا لم نجد أنّهُ سعى إلى إيجاد قيادةٍ بديلة فيما إذا تعرض مسلم لحدثٍ ما لأنه لم يدخل في حرب وما كانت مهمته مهمة قتال.

النتيجة الثانية:

إننا لم نقطع في استنتاجاتنا بشكل يوجب الجزم والإصرار، بل إننا

نحتمل أن الكوفيين كانوا صادقين في دعواهم لنصرة الحسين عليه السلام، وإنهم مشروع تضحوي لإنجاح برنامجه الإصلاحي إلا أن المفاجئات التي حدثت فيما بعد، أربكت هذا التوجه وأحالته إلى حالةِ انهزام أمام المستجدات الطارئة التي أحدثتها سياسة عبيد الله بن زياد المخادعة والمعتمدة على التيار الأموي أو التيارات المناصرة له.

النتيجة الثالثة:

الملاحظ ان مسلم بن عقيل عليه السلام لم يخاطب الذين وقفوا ضده وقاتلوه بأنهم أصحاب غدر ونكوص، فهم بالأمس بايعوه واليوم عدوا عليه وقاتلوه، فلم يحتج عليهم بالبيعة، ولم نقف على موقف واحد يذكرهم فيه مسلم بن عقيل بأنهم بايعوه وغدروا به، مما يعني ان الذين قاتلوه هم أهل الكوفة الأمويين الذين كتبوا إلى الحسين بن علي يدعونه للقدوم تماشيا مع الرغبة الكوفية العامة، فلما وجدوا متسعا من الحركة بمجيء عبيد الله بن زياد استغلوا ذلك وشكلوا قوة قتالية ضد مسلم بن عقيل فخاطبهم وذكرهم بقربه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليحتج عليهم بالنسب دون البيعة، وعلى هذا فإننا نظن قويا ان الغدر الكوفي مثّله التيار الأموي وليس شيعة الكوفة الذين بايعوا مسلما وناصروه.

النتيجة الرابعة:

إن خطط مسلم بن عقيل الذكية أربكت النظام الأموي في القضاء نهائياً على حركة الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره، فهي عملت على تمتين

العلاقة بين الثورة والثوار، وبين القائد وقواعده، واحتفظت بمخزونٍ من فدائيي الثورة القادمة، لذا فان خطة المواجهة التي اعتمدها مسلم بن عقيل للنظام الأموي لم تشمل قيادات حركته ولا أنصاره، أمثال حبيب بن مظاهر ألأسدي، مسلم بن عوسجة، برير بن خضير، أبو ثمامة الصائدي عمرو بن خالد، عبد الله بن عمر الكلبي إلى آخره من قائمة المجاهدين الذين انسحبوا من أرض المواجهة - الكوفة - واختفوا في ضواحيها وقراها لحين قدوم الإمام الحسين، وبذلك أحبط مسلم بن عقيل خطة التصفية لقواعد الثورة الحسينية التي يعتمدها الإمام الحسين عليه السلام في حركته.

النتيجة الخامسة:

عمد ابن زياد إلى سياسة الأخذ بأسوأ الاحتمالات، فقد طارد الكثير من أشراف الكوفة ووجهائها واتبع منهجين من العمل في هذا الشأن:

١ـ سياسة الترغيب:

فقد أشترى أبن زياد ضمائر بعض وجهاء الكوفيين واستمالهم بالمال وهم يومئذ - أي الكوفيين - حاربتهم السلطة الأموية بالفقر والحرمان، فأي عطاء يضعفُ معه المحتاج خصوصاً أولئك الرؤساء الذين يرون رئاستهم بالمال، ووجاهتهم بإنفاقه على الآخرين، لذا أستطاع ابن زياد تغرير الوجهاء وشراء ذممهم، وهذا ما أخبر به بعض أهل الكوفة الإمام الحسين عليه السلام عند لقائه له في الطريق: ((وأما أشراف الناس فقد

عظمت رشوتهم وملئت غرائزهم، يستمال ودهم، ويستخلص به نصيحتهم، وأما سائر الناس فان أفئدتهم تهوي إليك وسيوفهم غداً مشهورة عليك[1])) ومن هنا تمكن أبن زياد من السيطرة على الحالة الكوفية بأخذ بعض رؤسائهم بالمال والترغيب.

٢ـ سياسة الترهيب:

فقد سجن ابن زياد في السجون بعض المعارضين أمثال المختار الثقفي وعبيد الله بن الحارث اللذين ألقيا القبض عليهما - كما مر - فضلاً عن كثير من الوجهاء الذين أخفى التاريخ أسماءهم، ولم يذكر منهم سوى عبد الأعلى بن يزيد الكلبي وعمارة بن صخلب الأزدي والاصبغ بن نباته والحارث بن الأعور الهمداني حتى مات من مرضه، إضافة إلى ما ذكرناهما: المختار الثقفي وعبد الله بن نوفل بن الحارث والأسماء التي وصلتنا هم أصحاب الشأن ووجهاء القبائل في حين أن الذين زجوا في السجون من الناس وعامتهم من مغلوبي الأمر كان يزج في السجن من وجده في الطريق، أو يأخذ الآخرين من بيوتهم على الظنة والتهمة وهكذا أودع المئات من الثوار في السجن لمقتضيات أمنية يتحسبها في هذا الظرف كما أن أبن زياد تحصّن في قصره وأحتجز الكثير من الناس الذين كانوا في القصر لأغراض شتى فأمر بغلق الأبواب واحتجاز كل من كان في القصر، مما أربك عمل الثوار بقيادة مسلم بن عقيل، الذي حرص على عدم إراقة دماء الأبرياء فامتنع من مواصلة

---

١ - الشيخ باقر شريف القرشي : حياة الشهيد الخالد مسلم بن عقيل (ع): ١٤١.

محاصرة القصر وأدى به إلى الانسحاب بعد أن كان أبن زياد قد ضرب طوقاً بشرياً تحصن به وتترس من خلاله وهم مجاميع من الناس الأبرياء الذين لم يدخلوا في المواجهة وإنما كان وجودهم لأغراض شتى ولظروف معينة، وهذه إحدى عوامل انسحاب مسلم بن عقيل عن محاصرته القصر.

النتيجة السادسة:

إن من المؤسف أن يوجه الباحثون اهتمامهم إلى غدر الكوفيين وهو العنوان الذي أخذ مساحةً واسعةً من بحوثهم، في حين أغفلوا غدر الكوفيين المنتسبين للنظام أمثال محمد بن الأشعث الذي أفتعل مكيدة ((الأمان الغادر)) - كما قدمنا- ولما أطمأنّ مسلم لهذا الأمان - بعد أن أخذته الجراحات ونزف الدماء - ظهر غدر هذا الأمان وعدم صحته، هذا على رواية، في حين أن الرواية الأخرى تشير إلى أن التيار الأموي - الكوفي عمل لمسلم بن عقيل حفيرة وغطيت بالتراب والحشائش فوقع فيها[1].

النتيجة السابعة:

كانت مهام مسلم بن عقيل تثبيت المبادئ والقيم الإسلامية الأصيلة التي صودرت من محاصرة النظام لأكثر مفاصل الحياة الاجتماعية

---

١ - الشيخ باقر القرشي:حياة الشهيد الخالد مسلم بن عقيل (ع): ١٦٨ فقد نقل خبر الحفيرة عن أبي مخنف في مقتله المخطوط.

والاقتصادية والثقافية، واستبدلت الكثير من هذه القيم إلى قيم ممسوخة غير أصيلة، وكان على مسلم بن عقيل تثبيت هذه القيم وإظهارها بما ينسجمُ والأطروحة الإسلامية وإرجاع الناس إليها، لذا فهو لم يقدم على الفتك بعبيد الله بن زياد مع سنوح الفرصة بذلك، فضلاً عن أمتناعه في التصرف بأموال الكوفيين المودعة في بيت المال، بل استدان لتمشية ضروراته وبذلك أظهر ترفعه عن زجه بأية أغراضٍ بعيدةٍ عن أهدافه أو تُسجل لغير صالح حركته الإصلاحية.

النتيجة الثامنة:

كان اختيار الإمام الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل لهذه المهمة اختياراً حكيماً وقد توفرت لمسلم دواعي إنجاح هذه المهمة والتعاطي معها على أحسن وجه، كما أن تقريض الإمام الحسين عليه السلام لشخصية مسلم كان دقيقاً فقد توفرت لمسلم أسباب القيادة الناجحة بكل تفاصيلها، فقد كان ملماً بأصول الحرب، مطلعاً على تشعبات المجتمع الكوفي، يحمل في قناعاته صحة خيارات الإمام الحسين عليه السلام الإصلاحية، موقناً بضرورة التغيير وبقيادة الإمام المعصوم، فضلاً عن شجاعته وعلمه وفقاهته وورعه وشدة احتياطاته في اتخاذ القرارات الحاسمة، كما أننا لا ننسى أن لمسلم بن عقيل في ذاكرة الكوفيين مجالاً واسعاً من الثقة والاحترام والمحبة في قلوبهم لما كانت تحمله الذاكرة الكوفية عن شخصيته المتميزة التي قضت مع الإمام أمير المؤمنين والإمام الحسن عليه السلام شطراً مهماً أنجز فيها مسلم كثيراً من المهام خصوصاً في مجال الحروب، فضلاً عن مجالات السلم الأخرى وكل ذلك ساعد في إنجاح مهمة مسلم بغض النظر عن نهاية المفجعة.

النتيجة التاسعة:

مهّد مسلم بن عقيل في مهمته هذه لقدوم الإمام الحسين عليه السلام أرضية مهمة لدى الكوفيين فهو لم يدخل في صداماتٍ عسكرية مع النظام، بل قدّم الرؤية الكاملة لنهضة الإمام الحسين عليه السلام، والموقف الكامل من بيعة يزيد، فالكوفة اليوم وهي ترفض بيعة يزيد، بحاجة إلى ترشيد موقفها، وتسديد رؤيتها حيال النظام، فهي المدينة الوحيدة من بين البلدان الإسلامية التي أعلنت رفضها لبيعة يزيد – وان كان في البلدان الإسلامية الأخرى رفضٌ لهذه البيعة لكنه على مستوى الأمنيات ولم يصل إلى المستوى العملي- في حين أعلن الكوفيون عن رفضهم لهذه البيعة وهم بحاجة الآن إلى تقنين هذا الرفض، وترشيد هذه المعارضة فكان مسلم بن عقيل جديراً في الأخذ بأيدي الكوفيين والعمل على تنظير هذه الحركة الرافضة للظالمين والمتمردة على أنظمتهم.

النتيجة العاشرة:

اعتمد النظام الأموي على أسلوب الدعايات المعتادة التي أوهنت من عزائم الكوفيين، فضلاً عن حالة التواكل التي حدثت لبعضهم فقد شاركت المرأة بدورٍ سلبي أربك عملية المقاومة، فان الدعايات التي بثها أبن زياد كون الجيش الشامي على الحدود الكوفية وسينزل أقصى العقوبات في كل من شارك في الثورة، أخذت هذه القضية من النفسية الكوفية مأخذها خصوصاً النساء، فان المرأة أكثر استجابة لأية دعايةٍ، بل هي أسرع إلى تصديقها وترتيب الآثار عليها، وقد خشيت أكثر هذه

النساء على مصير أزواجهن وأبنائهن الذين اشتركوا في الثورة، فأرهبن الرجال في المشاركة بثورة ((مجهولة المصير)) - كما يتصورن ذلك - لذا فأخذن يُخذّلن الرجال ويُقرّبن صورة الفاجعة التي تنتظرهن أن حدث بالرجال حدث، فالمرأة تستطيع أن تدفع بالأحداث باتجاهها الايجابي أو بواجهتها السلبية، فالنساء يُهيمنّ بعواطفهن على أكثر قرارات الرجال، ودوافعهم لتحقيق أية قضية ما، ويتعلق ذلك على أساس القناعات التي تحملها المرأة، كما حدث لعمرو بن جنادة حين دفعته أمه إلى القتال، وحينما منعه الإمام الحسين عليه السلام وقال: هذا غلام قتل أبوه في الحملة الأولى ولعل أمه تكره ذلك، قال الغلام: إن أمي أمرتني فأذن له..[1] أو ما حدث لزهير بن القين حينما ((توقف عن الإجابة غير أن امرأته ولهم بنت عمرو حثته على المصير إليه وسماع كلامه فمشى زهير إلى الحسين..))[2] إلى غير ذلك من المواقف التي كان للمرأة أثراً ايجابياً في قرارات الرجال الايجابية، في حين نجد أن المرأة في الموقف الكوفي هذا قد شاركت في تخذيل الرجل عن النصرة والاستمرار في المعركة، فكانت لإجابة الرجال بشكلها السلبي أثره في تلكؤ الثورة وإجهاضها، وهذا يحدث في كل مجتمعٍ إنساني.

النتيجة الحادية عشر:

دخلت الكوفة في مواجهات مثيرة مع أنظمة الحكم - خصوصاً

---

١ - المقرم: مقتل الحسين (ع): ٣٠٥.

٢ - المقرم: مقتل الحسين: ٢٠٦.

الأموي والعباسي - وكان لكل نظام اتجاهه في تقرير الأحداث التاريخية وترسيم رؤية معينة لكل جهة تختلف على أساس ولاءاتها السياسية، فكان للكوفة حظها السيئ مع مؤرخي النظام الذين شاركوا في تعزيز رؤية الخذلان والنكوص الكوفية لدى الناس؛ وفي طليعتهم الباحثون الذين ورثوا هذه النزعة بشكلها السلبي.

من هنا فإننا ندعو إلى تعزيز ((الوسطية التاريخية)) في رسم الأحداث الكوفية، وعدم التطرف في الحكم على الأحداث.

النتيجة الثانية عشر:

إن كل ما قدمناه لا يرقى إلى مرحلة تبرير الموقف الكوفي من الأحداث، فان المواجهات التي حصلت مع أبن زياد كانت باكورة الثورة المسلحة التي دعا إليها الكوفيون لنصرة الإمام الحسين عليه السلام وتمنوا أن تكون حركتهم هذه تحت لواء معصوم يأخذ بهم إلى تحقيق أهدافهم والوصول إلى غاياتهم وهم بهذا لابد أن يوطنوا أنفسهم لاحتمال المتغيرات السياسية والمواقف المرتجلة التي تحدث في أثناء الحركة، ولا بد أن يتوقعوا لكل طارئٍ محسوب أو غير محسوب، فأي تغيير يحصل لا يؤثر على مبدأ موقفهم وإصرارهم في حين نجد أن الموقف الكوفي أخذ يتجه باتجاه النكوص والتخاذل، والكوفيون وإن طالتهم الإجراءات المتشددة والتعسفية غير قادرين على إعادة ترتيبهم وتعبئتهم مرة أخرى، إلا أن ذلك لا يعذرهم عن التواني في إيقاف الانتهاكات التي أطالت جسد الشهيد مسلم بن عقيل عليه السلام وهانئ بن عروة رضي الله عنه، وكان المفروض

الإقدام على فك الحصار الذي ضُرب على هانئ رضي الله عنه عند حبسه في قصر الإمارة وعلى مسلم بن عقيل عليه السلام عند ملاحقته من قبل أزلام النظام إلى آخره من الفرص التي يمكن استغلالها لتغيير مسارات الأحداث باتجاهِ النصرة أو أخذ الثأر على أقل تقدير.

هذه هي خلاصات النتائج التي يمكن أن نقف عندها في رحلتنا الكوفية التي قرأنا فيها الأحداث على أساس المعطيات التاريخية العامة، دون الاستسلام للنظرة القبلية التي ابتلي بها البعض لحل ((اللغز الكوفي)).

وأخيرا.. مسلم بن عقيل.. انتصارا للمبادئ:

لم يكد مسلم ينتصر دونما تنتصر معه مبادئ الشرف والرجولة.. ولم يبحث مسلم عن نصر مزيّفٍ دون أن يوطّد لنصر مبادئ دينه موطئاً يتخذه من بعده ذوو الشرف ملحمة جهادٍ طويلٍ ينتصرون بها على كل غيلة، وينتصرون فيها لكل فضيلةٍ ومكرمة وفتوّة.

ولو دار الأمر في مهمة مسلم بن عقيل عليه السلام بين نصرة العاجل دون مراعاة قيمه ومبادئ قضيته، وبين أن تزهق نفسه في عباب وغى الأسنة المشرعة على أن يحيا شرف المبدأ وعفة القضية، لآثر الموت على الحياة، والهلكة على النجاة وأنى لمسلم أن يلتمس مواضع النصر بالغدر، والحياة بالغيلة، والنجاة بالفتكِ، وقد جاء ليعلن مبادئ ثورة الحسين عليه السلام التي أعلن فيها أنه جاء لطلب الإصلاح في امة جدّه وأي إصلاح في طلب العافية، وهو يتربص لعدوه موارد الأمان حين اسلم ابن زياد إلى

مقتضيات الضيافة، ودواعي النبل التي اتسم بها شيخ مذحج وسيدها، وشريف همدان وأميرها.. وما الذي يقوله المتربصون غداً في محاولة كهذه، غير أن مسلم جاء راجيا للغلبة بكل طريقةٍ حتى لو استوجبت غدراً، وبكل وسيلةٍ حتى لو استلزمت سفكا لأعراف الضيافة كما هي تسفك دماء خصومه دون حرمة، هكذا سيقولها السفهاء من أهل الأهواء، دون حريجة في دينٍ، أو مسكة من تقوى يتورع فيها ذوو الإنصاف وهم يقرؤون تاريخ مسلم ودواعي مجيئه، وقد بعثه الحسين عليه السلام استجابة لنداء المستصرخين الذين دعوه للبيعة ثمّ أسلموه عند الوثبة.

إذن لم تكن دواعي النهضة الحسينية النصر العاجل بقدر ما كانت تصبو لترسيخ مبادئ دين، وأعراف امة، سحقتها أعراف سياسة، ومبادئ سطوة، وطيش سلطان.

المصـــادر

١- السيد عبد الرزاق المقرم: مقتل الحسين (عليه السلام)، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٧٢.

٢- ابن عساكر: تاريخ الجزء الخاص بالحسين (عليه السلام)، دار التراث العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠١.

٣- ابن طاووس: اللهوف على قتلى الطفوف، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٥٠.

٤- سبط ابن الجوزي: تذكرة الخواص، الطبعة الثانية، الشريف الرضي، إيران، ١٤١٨.

٥- الخوارزمي: مقتل الحسين (عليه السلام).

٦- ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب، ذوي القربى، إيران، ١٤٢١.

٧- البراقي: السيد حسين تاريخ الكوفة، المكتبة الحيدرية، إيران، ١٤٢٤.

٨- الطبري: تاريخ الأمم والملوك، الاستقامة، القاهرة، ١٩٣٩.

٩- البلاذري: فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨.

١٠- أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، المكتبة الحيدرية، قم، إيران، ١٣٧٩.

١١- الشيخ عبد الواحد المظفر، سفير الحسين مسلم بن عقيل (عليه السلام)، مؤسسة المظفر الثقافية، ط٢، بيروت، النجف الأشرف ١٤٢٩-٢٠٠٨.

١٢- الشيخ محمد حرز الدين، مراقد المعارف.

١٣- المجلسي، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ١٩٨٣.
١٤- الشيخ علي احمد المباني، عقيل بن أبي طالب، مركز البحوث.
١٥- سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦.
١٦- أسد الغابة، عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٦.
١٧- أنصار الحسين الثورة والثوار، السيد محمد علي الحلو، مؤسسة السبطين العالمية، إيران، قم، ١٤٢٥.
١٨- الدربندي، أسرار الشهادة ذوي القربى، إيران، قم، ١٤٢٨.
١٩- الطريحي، المنتخب.
٢٠- الكافي ١، باب معرفة الإمام، ج١.
٢١- بصائر الدرجات، دار المفيد لبنان، بيروت، ٢٠٠٣.
٢٢- ينابيع الحكمة ٢ مؤسسة الأعلمي لبنان، بيروت - ٢٠٠٠.
٢٣- الممقاني، تنقيح المقال ستارة، قم، ١٤٢٣.
٢٤- المجالس الحسينية للشيخ محمد آل كاشف الغطاء، إصدار مكتبة العتبة العباسية المقدسة، كربلاء، العراق، ٢٠١٠.
٢٥- الذهبي، سير أعلام النبلاء، دار إحياء التراث العربي بيروت ط١ ٢٠٠٦.
٢٦- مستدركات سفينة البحار، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، ١٤١٨.
٢٧- نصر بن مزاحم، وقعة صفين، دار الجبل، بيروت، ١٩٩٠م.

٢٨- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨٥.
٢٩- موسوعة كربلاء، د.لبيب بيضون، طليعة النور، قم، إيران، ١٤٢٧.
٣٠- الإمامة والسياسة، لابن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨، مؤسسة الأعلمي بيروت، لبنان، ٢٠٠٦.
٣١- الحسن بن علي (عليه السلام) رجل الحرب والسلام، مؤسسة السبطين، قم المقدسة، ١٤٢٦.
٣٢- السيد محسن الأمين، لواعج الأحزان.
٣٣- عبد الرؤوف عون، التجنيد في الدولة الإسلامية.
٣٤- أمنة محمد، الكوفة بين الولاء والغدر، مؤسسة العارف للمطبوعات بيروت، لبنان ٢٠٠١.
٣٥- الشيخ شريف الجواهري، مثير الأحزان، منشورات الرضا، قم، إيران، ١٣٦٢.
٣٦- الحموي، ياقوت، معجم البلدان ٢ دار إحياء التراث العربي بيروت.
٣٧- الشيخ عبد العظيم الربيعي، سياسة الحسين، مطبعة رشيدية بالأوفست، ١٣٧٨.
٣٨- الشيخ باقر شريف القرشي، حياة الشهيد الخالد مسلم بن عقيل (عليه السلام)، التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤.

الفهــرست